نظرية القيم في الأدب الإسلامي

إعداد الأستاذ الدكتور :فتحي بوخالفة

قسم اللغة والأدب العربي/كلية الآداب واللغات/

جامعة المسيلة–الجزائر

***الملخص:**

يتناول هذا المقال،موضوع القيم في الأدب الإسلامي من منظور علاقة الأدب بصفته فنا تعبيريا،بالعقيدة الإسلامية دون سواها من العقائد الأخرى.

وقد تم التطرق في المقال لجملة مضامين أساسية،كتحديد مصطلح الأدب الإسلامي،حيث تم التطرق على وجه التحديد لمجمل المفاهيم التي حددت هذا المصطلح،وكذا التطورات التاريخية التي عرفها.

إلى جانب ذلك تم طرح موضوع حاجة القراء المسلمين لنظرية أدبية تختص بالأدب الإسلامي.ثم كان الحديث عن الأدب في علاقته بنظرية الالتزام،وتلك مسألة أساسية بحكم العلاقة القائمة،بين الأدب والعقيدة الإسلامية.

***Résumé:**

La théorie des valeurs dans la littérature islamique

Cette citation prend le sujet des valeurs dans la littérature islamique,à travers la relation de la littérature qui est un art expérimentale,de la réligion islamique sans les autres réligions.

On cite dans cette citation un ensemble des centenus nécéssaire pour préciser le sens de la littérateure islamique,et on a cité précisément l'ensemble des centenus qui a précisé ce sens aussi les développements historiques qui la connu.

Et ainsi qu'on a proposé le sujet du besoin des lécteurs musulmans à un théorie littéraire qui particulie la littérature islamique.puis la discution a été sur la littérature et leur relation de la théorie d'engagement,c'est une question fondamentale à partir la relation entre la littérature,et la réligion islamique.

Ensuite il s'agit d'un ensemble des valeurs qui peuvent les trouver dans la littérature islamique,et on a précisé des valeurs connues,comme la valeur intéléctuelle,et la valeur sentimentale,et la valeur ésthétique.

Et enfin une petite conclusion,contient une idée précise,on peut truover une théorie des valeurs dans la littérature islamique.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

من المتعارف عليه أن الإسلام، عقيدة ينبثق عنها نظام شامل لمناحي الحياة الإنسانية.هذه الشمولية تقتضي على وجه التحديد وجود فكر إسلامي،كما تقتضي وجود نظام إسلامي،وعلوم اجتماعية ونفسية إسلامية،وتقتضي أيضا وجود أدب إسلامي.

إلا أن التطورات التي عرفتها حركة التاريخ في جدليتها المستمرة،منذ العصور الإسلامية الأولى إلى يومنا هذا،لم تتمكن خلالها الحضارة الإسلامية من التعبير عن روحها كاملة، وفي مختلف مناحي الحياة. مما يثبت وجود ما يسمى بالثغرات التاريخية التي لم يقم المسلمون بملئها آنذاك، وهم مستعدون لملئها حال توفر الشروط التاريخية المناسبة.وهذا يعني أنه رغم الإنجازات الكبيرة التي قامت بها الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها،لم تستكمل مقاصد الإسلام بعد، وأن أمام المسلمين مسيرة كبيرة للغاية لاستكمال مسيرة الحياة الإنسانية بالفكر والعمل والإبداع، في ضوء التصور العقيدي الذي ورثوه من الدين الإسلامي.

إن العقبات الكئودة التي وقفت أمام الإسلام، وجعلته لم يبلغ مقاصده،ويحقق غاياته الكاملة،جعلت من الضروري مواجهة صور أدبية في مجال الإبداع الأدبي وحتى النقد،تتنافى تماما مع روح الإسلام وهي صادرة عن أبنائه المسلمين.كما وجدت كذلك تنظيرات نقدية لا تمت لروح الإسلام بصلة لدى الكثير من النقاد.

ومهما كانت طبيعة المعطيات القائمة، «فإن النتاجات الأدبية والنقدية في العصور الإسلامية السابقة،كان منها ما هو متسق مع التصور الإسلامي،ومنها ما كان مخالفا لهذا التصور عن سوء فهم،ولم يكن البتة صادرا عن قصد عدائي للإسلام، وهو الأمر الذي لا ينبغي أن يصدر عن أديب ينتمي للإسلام. والذي وجدنا من موقف عدائي من الإسلام،إنما هو وليد ما سمي بالعصر الحديث،بعد أن تأثر مباشرة بالمبادئ الأوروبية الوافدة و المفروضة على الجيل الإسلامي،الذي استلب وتغرب بالإكراه تارة، وبالإغراء تارة أخرى»[1].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-أ-الأدب الإسلامي وإشكالية المصطلح:

يبدو أن مصطلح الأدب الإسلامي، مصطلح حديث في الحياة الأدبية العربية، وهذا لا يعني بالضرورة إدانة التراث العربي الإسلامي، من باب أن المصطلح لم يوجد فيه، بحكم أن العصر هو الذي يقتضي وجود مصطلحاته، وعلومه، ومناهجه، وهذا تابع لطبيعة التطورات التاريخية التي تفرض الحاجيات الخاصة لكل عصر من العصور الإنسانية.

ويمكن أن توجد في بعض الكتب أو المصنفات النقدية،لاسيما منها ما تعلق بالتاريخ الأدبي، والتي ألفت في أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين،إشارة ولو عابرة إلى مصطلح"أدب إسلامي"، ولعلها إشارة إلى مرحلة تاريخية معينة، وهي تلك المعروفة "بصدر الإسلام"،إضافة إلى ما اصطلح عليه"بالأدب الأموي"أو"الأدب العباسي"،وهي تقسيمات تاريخية لمراحل تطور الأدب العربي، ترتبط على وجه التحديد بطبيعة النظام السياسي السائد في تلك المرحلة من مراحل تاريخ الدولة الإسلامية. مع العلم أن هذا التقسيم هو تقسيم مدرسي بحت،وعليه فالإنتاج الأدبي الذي نسب إلى العصر الأموي والعصر العباسي مثلا،لا يقصد به الأدب الإسلامي كمصطلح، من حيث كون المصطلح نظرية شاملة لمفهوم الأدب من منظور إسلامي.كما أنه لا ينحصر بدراسة ما أنتج من أدب خلال فترة محددة من فترات التاريخ.

ويمكن الاعتقاد أن ظهور المصطلح «قد تم في مرحلة بدأ الإسلام فيها يتقدم ليتخذ مواقعه من الحياة المعاصرة، وليكون طرفا متوثبا في معركة الصراع بين القيم وأبعاده العملية، بعدما مرت مرحلة مظلمة تمثلت في تغلب الاستعمار الأوروبي بقيمه الصليبية والمادية على ديار الإسلام، وحضارة الإسلام.وخيل إليه أنه استطاع أن يحسم لغة الصراع لصالحه»[2].

وإن كان التاريخ سجل بداية انتشار الصحوة الإسلامية في أوساط الأمة العربية الإسلامية،ممثلة في بعض الحركات الإسلامية التي قاومت الاستعمار في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البلاد العربية بأشكاله المختلفة،كما تمثلت أيضا في النشاطات الثقافية والإصلاحية والفكرية التي حاولت تأصيل المفاهيم الإسلامية الدينية في مختلف نشاطات الحياة، فإن الأدب كان له هو الآخر نصيبه من مثل حركة التأصيل هذه،وهذا التوجه.

ويذهب البعض في هذا الصدد، إلى اعتبار الحقبة التاريخية التي سميت بمرحلة الصراع بين القديم والجديد،أو الحداثة والتقليد، تسمية لم تكن في محلها،يقصد من ورائها الإساءة الفعلية للإسلام كعقيدة ودين،في المرحلة الأولى لصياغة مصطلح يتضمن نظرة الإسلام للأدب والحياة معا[3].

ويذهبون إلى أبعد من ذلك، من خلال تحديد بعض رموز الصراع التي صنعت تلك الفترة التاريخية الهامة من الحياة الثقافية للأمة العربية، "كطه حسين" مثلا،و"مصطفى صادق الرافعي"، بحيث تلخص هاتان الشخصيتان الفكريتان خصوصية الحياة الأدبية والفكرية، التي طبعت بتياري التغريب والتبعية، والأصالة الإسلامية. مع أن المسألة في حقيقتها يمكن أن ينظر إليها من باب الاختلاف بين الآراء، والتحاور المثمر بين الثقافات المختلفة الاتجاهات، أو الانفتاح على الآخر، كما تقدم الطروحات النقدية الحديثة.

وعلى الرغم من أن التيار الغربي يغلب في العديد من المرات على الحياة الثقافية العربية، لعوامل متعددة تصل أحيانا إلى حد العقيد والتشابك، فإنه من باب الموضوعية الإقرار، بأن هناك مجموعة من القيم أرستها الأصالة الإسلامية، وبعثت في نفوس الأجيال الجديدة،والتي أبرزت خاصة في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين،رؤية جديدة للأدب والثقافة، ولعلها المرحلة التي تميزت بانتشار الوعي الإسلامي الذي بدأ يأخذ طريقه إلى شرائح شعبية واسعة في البلاد العربية.

واعتبارا من فترة الستينات من القرن العشرين، برزت مصنفات نقدية على درجة من الموضوعية، والتوجه الإيديولوجي الخاص في الآن ذاته، وهي المصنفات التي اختصت بالتنظيرات لما سمي بعد ذلك بالأدب الإسلامي. فجاء كتاب الأستاذ "نجيب الكيلاني"الموسوم ب:"الإسلامية والمذاهب الأدبية"، الصادر سنة ألف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتسعمائة وثلاث وستين ميلادي(1963م) ليعمق من نظرية المصطلح الجديد"الأدب الإسلامي"،وذلك بناء على الموروث الثقافي للأمة العربية الإسلامية قديما أم حديثا.

تتابعت دراسات نقدية أخرى بعد هذا المصنف، والتي اختصت بالتنظير للأدب الإسلامي، والنقد الإسلامي على حد سواء،من أهمها كتاب"في النقد الإسلامي المعاصر"للدكتور"عماد الدين خليل"،صدر سنة ألف وتسعمائة واثنين وسبعين ميلادي(1972م)، وكتاب"محاولات جديدة في النقد الإسلامي"للمؤلف نفسه،صدر سنة ألف وتسعمائة وواحد وثمانين ميلادي(1981م). بعد ذلك أقيمت ندوات ومؤتمرات نقدية ناقشت بعمق مفهوم الأدب الإسلامي ونظريته،بدا ذلك خاصة في المؤتمر النقدي الأول الذي انعقد"بالهند"،وبالتحديد في مدينة"لكهنؤ"، وهو المؤتمر الذي أشرف عليه المفكر الإسلامي المعروف"أبو الحسن الندوي"، كان هذا في الثالث عشر من شهر جمادي الثانية سنة ألف وأربعمائة وواحد هجري،الموافق ل:السابع عشر من شهر أفريل سنة ألف وتسعمائة وواحد وثمانين ميلادي(13جمادي الثانية1401هـ/17أفريل1981م)، وكان من جملة توصيات المؤتمر صدور سلسلة من الدراسات في الأدب الإسلامي ونقده، وهي السلسلة التي تضمنت كتبا هامة أفاضت في الحديث عن نظرية الأدب الإسلامي[4].

ويعرف في العديد من الدول الإسلامية، أن بعض الجامعات المتخصصة في العلوم الإسلامية،تبنت تدريس نظرية الأدب الإسلامي،ويمكن لجامعات في تخصصات مختلفة أن تتبنى تدريس هذه النظرية في انتظار مجئ الوقت المناسب،الذي تتضح فيه أبعاد هذه النظرية، وتجد ما يسندها من إنتاج إبداعي واعي.

وتقتضي الموضوعية العلمية، عدم الاهتمام الكبير بالخلافات القائمة حول المصطلح كمصطلح، لاسيما المصطلح المتعلق بالأدب الإسلامي، «لأن الهم الذي سيطر على الأديب والناقد الإسلاميين كان أعظم من الاختلاف حول صياغة المصطلح، على الرغم من إحساسهما بصعوبة هذه الصياغة في زمن طغت فيه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصطلحات الغربية في مجالات الحياة كافة، حتى أن أي مصطلح إسلامي في أي مجال من هذه المجالات، كان يواجه استغرابا ورفضا في بعض الأحيان. لقد كان الهم يتمثل في تحكيم الإسلام في نشاطاتنا كافة، ومنها الأدب الذي يعبر عن مساحة واسعة من هذه النشاطات»[5].

بعد أن أطلق المفكر الإسلامي"سيد قطب"، مصطلح الأدب الإسلامي لأول مرة سنة ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ميلادي(1952م)، وكان يقصد به التعبير الهادف عن تمثل النفس لمجمل المشاعر الإسلامية(6). جاء بعد ذلك "محمد قطب"ليؤكد المصطلح نفسه، ويثبت تعريفا للأدب الإسلامي، بأنه «التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام لهذا الوجود»[7].

ويطلق الأستاذ نجيب الكيلاني مصطلح"الإسلامية"، على الأدب الذي يعتقد بأنه أدب إسلامي، يأخذ من الروح الإسلامية تعاليم الإسلام، مادته وخصائصه، وتوجهاته الفكرية والأخلاقية. ويبدو أن مصطلح "أدب إسلامي"، يوحي لنا بأن الأستاذ نجيب الكيلاني « أثبته ليضاهي به مصطلحات مثل الكلاسيكية، والرومانسية، والواقعية، والرمزية. وغيرها من مذاهب الأدب الغربي. ويبدو أن هذا المصطلح لم يصادف هوى لدى الأدباء والنقاد الإسلاميين، لاستشعارهم المنحى الذي يجاري المذاهب الأدبية الغربية، وكذلك لم نقرأه عنوانا لأية دراسة من دراسات الدكتور الكيلاني، بل إن الكيلاني نفسه هجر هذا المصطلح وآثر مصطلح(الأدب الإسلامي)، في كتبه التي ألفها بعد كتاب(الإسلامية)، ولنأخذ على ذلك مثلا كتابه (مدخل إلى الأدب الإسلامي)، الذي صدر في قطر عام1987»[8].

وضمن عرض المصنفات النقدية، التي تطرقت لموضوع الأدب الإسلامي،تجدر الإشارة إلى كتاب الدكتور"أحمد بسام ساعي"[9]، الموسوم ب: "الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد". وهو العنوان الذي من شأنه الإحالة على عناوين نقدية أخرى،كالرمزية الإسلامية، والرومنسية الإسلامية..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عرض الكاتب في كتابه لموقف الإسلام من الواقعية الغربية بصدق وعمق، وحدد طبيعة الواقعية الإسلامية وخصائصها. ومع ذلك فهناك اعتقاد يميل إلى القول بأن الإسلام هو الإسلام بخصائصه وطبيعته العقيدية والدينية، والأدب الإسلامي هو الأدب الإسلامي، بخصائصه الفنية،ومواصفاته الجمالية،يعكس خصائصه الذاتية،دونما حاجة إلى الاتصاف بصفة خاصة تمت بصلة لواقع الحياة الغربية،في مجال الفكر والأدب[10].

يمكن التبين من خلال ما سبق،أن مصطلح الأدب الإسلامي،استقر على الدراسات التي صدرت حول الأدب الذي اتجه هذا التوجه، ويمكن له أن يستقر في المستقبل،وهذا بحسب جدية الدراسات النقدية التي يمكن أن تصدر في هذا المجال.ولعله–من منظور منظريه–،الأدب الذي يقف أمام الآداب الغربية الأخرى، أو حتى الآداب العربية التي أخذت الكثير من الآداب والمذاهب الأدبية الغربية. ولعلهم يعتقدون بالفترة التي سادت فيها المذاهب الأدبية الغربية الأدب العربي الحديث، هي(المرحلة الجاهلية) كما يعتقدون، وهي الحالة التي صحبت مسيرة الحياة الإنسانية في حال ابتعادها عن المنهج الرباني،وتبني مفاهيم وضعية من وضع البشر.

وبحكم اعتقادهم أن الجاهلية حالة وليست مرحلة تاريخية محددة، فالأدب الجاهلي لا يخص أدب مرحلة محددة من مراحل التاريخ، إنما يرافق كل مرحلة تسود فيها الجاهلية؛ كأن يكون هذا الأدب معبرا عن مرحلة ما قبل الإسلام، أو آداب العصر الحديث في أوروبا، أو في العالم العربي المتأثرة بالمفاهيم الأوروبية. وقد تكون هذه الجاهلية مرحلة تاريخية قادمة،تعبر عن أدب القرن القادم، حين تكون الجاهلية سائدة بمفاهيمها المعروفة، ومسيطرة على تصورات الإنسان وسلوكاته، ومناحي الحياة[11].

يمكن أن تتداخل نظرية الأدب الإسلامي، مع مصطلح النقد الأدبي، وتاريخ الأدب؛ مع العلم أن لكل من هذه الجوانب تخصصه وميدانه الذي ينبغي أن يهتم به، وينشط في إطاره.فالنقد الأدبي معروف عنه أنه يعنى بالنصوص الأدبية الإبداعية من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث الذوق والحكم والتقويم. وتاريخ الأدب يعنى بالظروف التاريخية العامة، كالظروف السياسية، والاجتماعية، والحضارية، التي أنتج ضمنها الأدب وتأثر بحيثياتها. أما نظرية الأدب فمعروف عنها أنها تهتم بالأدب من حيث النشأة،والماهية، والوظيفة. وكل هذه المسائل الناقد بحاجة إليها، ويحتاجها أيضا مؤرخ الأدب، ليكون رؤية شمولية عن واقع الأدب من حيث الخصائص، والتطورات، والقيم الجمالية[12].

وإلقاء التصور الإسلامي على نشأة الأدب، وتطوره، ووظيفته، يمكنه أن يغني الأدب، ويخلصه من كثير من التصورات الوثنية، والثقافات المائعة، ويجعل منه أداتا تواكب الطموح الإنساني إلى التطور، وجعل الحياة ثرية، وربطها بما قبلها وما بعدها من الوجود.

وضمن الطموح المتعلق بصياغة نظرية للأدب الإسلامي، تطرح التنظيرات المختصة منهجين اثنين: الأول منهج وصفي، والثاني منهج معياري. يقوم المنهج الوصفي على مطالعة ووصف التجارب الأدبية والجمالية التي ميزت الفترة التاريخية من انتشار الإسلام، وهي الفترة التي تفوق مدتها خمسة عشرة قرنا، بل وحتى خلال استقراء تاريخ الإنسانية كلها في حال الحديث عن نشأة الأدب الإسلامي، وتحديد بداياته التاريخية.

بعد استقراء الجزئيات المشكلة للظاهرة،تم استنتاج القوانين العامة المتعلقة بها، بمعنى القيام بعملية الكشف عن الثوابت من خلال المتغيرات. ولكن قد تحدث بعض الهنات، حين يكون المتغير هو الذي يحدد الثابت، ولعل هذا يكون حين لا تكون هناك ثوابت معينة، ضمن الموضوع الذي يراد تحديده.

أما المنهج المعياري، فإنه يكون أكثر فاعلية، في حال وجود التصور الشامل والمسبق عن الموضوع. لذلك فاللجوء إلى المنهج المعياري، يعني محاولة تأسيس الموضوع وفق جملة معايير. ويرتكز هذا المنهج على نوع من الاستدلال الذهني الذي يخضع أية ظاهرة لتلك المعايير، يعني أنه يستند إلى رؤية فلسفية وجمالية سابقة، لأية خصوصية إجرائية لتحليل النص. وتجدر الإشارة إلى «أنه من الضروري إيضاح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن الإسلام يمنحك الخطوط العريضة لموضوعك، ولا يحرمك من لذة الاكتشاف لكثير من جزئيات هذا الموضوع، بمعنى أن هناك (منطقة فراغ) لم يجب عنها الإسلام، بل تركها خاضعة لظروف التطور الإنساني، وليدفع الإنسان إلى مزيد من الكشف والإبداع»[13].

وفي حال فهم المنهج المعياري على هذا الأساس، يمكن بعد ذلك الاستفادة من الخطوط العامة للتصور، بهدف معالجة النص الأدبي وفق قوانينه الذاتية الخاصة به، ويمكن للباحث اكتشاف القيم الفنية المتعلقة بميزات كل عصر. وفي الحقيقة فإن مثالية الإسلام، يمكن أن تكون دافعا للسير نحو الكمال، وليست صورة من صور الجمود والثبات،كما يمكن أن يتبادر إلى أذهان الكثير من المثقفين.

-ب-هل نحن بحاجة لنظرية للأدب الإسلامي؟

تكمن شرعية هذا السؤال من باب تحديد قيمة الحاجة لرؤية إسلامية واضحة تحكم الأدب، وتحدد اتجاهاته الفنية. ولكن باستمرار وجود مصطلح الأدب الإسلامي تثير الكثير من الحساسيات لدى الكثير من النقاد والدارسين،لاسيما أولئك الذين لا يعتقدون بضرورة وسم المصطلحات النقدية،بمثل هذه السمة، اعتقادا منهم أن المسألة ستنبني بعد ذلك على توجه إيديولوجي،يمكن أن تحكمه رؤية دينية ضيقة. ومنهم من يعتقد أن العقل لابد له أن يحتكم لمعطيات وضعية قائمة في الحياة الطبيعية، وعليه أن يبتعد عن كل ما هو غيبي، لأن ذلك يعني احتكامه لعناصر أجنبية عنه تؤدي به إلى الوقوع في الكثير من المزالق. والأمر ذاته ينسحب على الفن والأدب، الذي ينبغي أن يتحرر من مختلف المعطيات الدينية والإيديولوجية حتى يجد له متنفسا حرا، وميدانا فسيحا يبدع فيه إبداعاته المختلفة. وعلى العموم فإن السؤال المطروح، بحاجة إلى إجابة موضوعية، تثبت شرعيته، كما تحدد قيمة هذه الحاجة.

جاء الإسلام كخاتمة لكل الديانات السماوية التي أكرم الله بها البشر، من"آدم"عليه السلام، إلى "محمد"رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فأعطى بذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التصور الكامل والموضوعي عن عقيدة التوحيد، التي هي أساس رسالته،كما أجاب بوضوح عن كل ما يتعلق بهذه العقيدة السمحة من تساؤلات.

والنظام الشامل الذي انبثق من هذه العقيدة، أوضح الأصول الأساسية في "القرآن الكريم"و"السنة النبوية الشريفة"، وترك العديد من التفاصيل والجزئيات لاجتهاد المسلمين، يقوم بذلك علماء وفقهاء، ومتخصصون في مختلف العلوم الإنسانية والتقنية، وكذلك الفنانون والأدباء، وذلك وفق طبيعة كل عصر وخصوصية كل ظرف، ووفق ما يتماشى مع حياة الأفراد والجماعات.

ومنذ العصر الإسلامي الأول، تتابعت الجهود لمزيد من الاجتهادات في مختلف ميادين العلوم والفنون. وربما كان العصر الحديث من أكثر العصور من حيث الأهمية لاستكمال البحوث عن رؤية إسلامية شاملة في مختلف العلوم والفنون، والأدب واحد من تلك المجالات التي لابد من تكثيف الجهود فيها لوضع رؤية إسلامية، تحدد الأبعاد النظرية للأدب، وفق أصول التشريع الإسلامي.

ومع مرور الوقت، لم يلق التصور الإسلامي الشامل للأدب الاهتمام الفعلي؛ بدا هذا في العصور الإسلامية القديمة، وحتى في العصر الحديث. لذلك كثرت الاهتمامات بضرورة وجود أدب إسلامي، وإيجاد نظرية له.

في العصور الإسلامية التي سبقت، وجدت نماذج كثيرة للأدب الإسلامي، ابتداء بالقرآن الكريم، مرورا بالسنة النبوية الشريفة، إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى التي وجدت في ذلك الوقت، كالخطابة والشعر. ومع ذلك لم يتم شئ من التنظير النقدي الناضج لنظرية الأدب الإسلامي، على أيدي نقاد مسلمين اشتغلوا في الأدب والنقد، حتى في العصور الإسلامية التي تميزت بإنتاج غزير للأدب، واهتمام بالغ بالشعر، كالعصر العباسي مثلا،الذي عرف حتى الانفتاح المباشر على الثقافة الغربية والشرقية الأخرى،كاليونان، والهند،من خلال الترجمة. ومع ذلك وجدت بعض المواقف النقدية التي استوحت بعض المفاهيم الإسلامية لدى الكثير من النقاد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن منظور المهتمين برؤية إسلامية للأدب، فإنهم دون شك يسعون لنظرية واضحة الأبعاد للأدب الإسلامي، دون الاهتمام بالمصطلحات المتداولة اليوم، بحكم أن المصطلحات متغيرة تبعا لطبيعة العصور، والخصوصيات الثقافية. ولكنهم يرون أن التنظيرات التي وجدت في الأدب العربي الحديث من جانب النقد،تتعارض مع رؤية الإسلام لوظيفة الإنسان في الحياة، ووظيفة الأديب في الوجود بشكل خاص، وهي تنظيرات معروفة صدرت من نقاد لهم أسماء لامعة في النقد العربي الحديث. من هنا كانت ضرورة البحث عن نظرية شاملة للأدب الإسلامي مطلبا ملحا من منظور المهتمين بهذا التوجه الأدبي.

من جانب آخر يعتقد المهتمون بالأدب الإسلامي، أن النهضة الأدبية الحديثة في العالم العربي، لم تهتم بالأدب الإسلامي،بحكم أن هذه النهضة –حسب آرائهم– ،ذات توجه معاكس تماما لأي توجه إسلامي في الكثير من مناحيها. في حين اهتم دعاة الإسلام وعلماء الدين،ورجال الفقه في مختلف المعاهد والجامعات الإسلامية،بالصراع القائم بين الحضارة العربية الإسلامية، والحضارة الغربية التي تمثلها أوروبا وأمريكا بهيمنتها العسكرية والسياسية، وحتى الثقافية.

وضمن هذا الصراع لم يهتم أولئك العلماء بالوظيفة الحقيقية للأدب، هذا فضلا عن البحث الجاد عن نظرية للأدب الإسلامي.

والواضح أنه من خلال تلك الفترة من الصراع، لم يكن الأدب والشعر من صميم اهتمامات علماء الدين؛ "فالجامع الأزهر" مثلا لم يكن يهتم بالأدب في الدروس التي كانت تقدم في حلقاته، حتى جاء المفكر الكبير"محمد عبده"، فأدخله مجال الدراسة من باب اعتباره درسا ثانويا فقط، ضمن ما اصطلح عليه بالعلوم الحديثة، أو التعليم المدني، كالجغرافية والحساب[14].

وليس هذا فحسب، فحتى الإسلاميون الذين عملوا في مجال الدعوة الإسلامية، وإعادة الاعتبار للإسلام ككيان حضاري للأمة العربية الحديثة، لم يهتموا كثيرا بالأدب والفنون الإنسانية الأخرى بوجه عام، إلا من خلال بعض المحاضرات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفكرية، والمواعظ التربوية التي كانت تلقى ضمن النشاطات السياسية والاجتماعية الأخرى. هؤلاء الدعاة لم يكونوا على درجة من الوعي بأن الأدب والفن بشكل عام إمكانية هامة، في إثارة المشاعر الإسلامية، ويمكن أن يفوق تأثيره،تأثير الخطابة والمقالة[15]. وهذه ليست فكرة جديدة، لأن التاريخ الإسلامي، يشهد بقيمة وأهمية الشعر، في تحريك الدعوة الإسلامية وهي في بدايتها، وليس أدل على ذلك من شعر"حسان بن ثابت الأنصاري"(ض)، الذي احتمت الدعوة الإسلامية كثيرا بصولاته.

وقد يعتقد أولئك الدعاة أن «المفاسد التي كان يشيعها الأدب والفن، كما شاهدوه في وسائل الإعلام(التحديثية) المخطط لها أن تكون كذلك،هي التي جعلتهم يشيحون بوجوههم عن هذا الأدب،مع علمهم بأن الأدب أداة حيادية يمكن شحنها بطاقات الخير المبدعة، أو تلويثها بنزعات الشر، والسفه والغرائز السافلة»[16].

ويلاحظ في الحياة اليومية إجلالا وتقديسا كبيرين للقرآن الكريم، وهذا شئ سليم جدا بحكم الانتماء للعقيدة الإسلامية. والحقيقة أن القرآن الكريم قمة نموذجية عليا في الأدب الرفيع الذي يستهدي به البشر في نيل المراتب العليا. ولكن قراءة القرآن لوحده وترتيله وحتى حفظه، ليست شروطا كافية لاكتساب أدوات التعبير الأدبي، والذوق الفني لدى المسلم. والواقع يثبت أن الكثير والكثير يحفظون القرآن الكريم، إلا أنهم غير قادرين على كتابة مقالة أدبية سليمة من حيث اللغة والتعبير. لكن قدسية القرآن الكريم لدى الدعاة الإسلاميين،وحتى أولئك المشتغلين في ميدان تربية الأجيال الجديدة، في بدايات العصر الحديث، شغلتهم كثيرا عن محاولات أدبية وفنية أخرى،سواء ما ظهر منها في القديم، أو ما هو موجود حديثا، كالقصة، والرواية، والمسرح مثلا. وتلك مهمة أخرى تتطلب البحث عن أصول التنظير للأدب الإسلامي للمهتمين بهذا التوجه في الأدب.

إن الإسلام باعتباره يحمل تصورا شاملا للحياة والإنسان، وبحكم أن تصوره يفوق تصور أية رؤية بشرية على الإطلاق، فالأدب في حال استهدائه بهذا التصور الشمولي،يمنح الإنسان بصيرة أقوى في مسيرته الحياتية، وتصوير واقعه الذي يأمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في إصلاحه وتغييره، أو إثرائه.لذلك فاللجوء «إلى التصور الإسلامي من لدن الفن الإنساني إغناء لهذا الفن، وإعطاء للتجربة الإنسانية زخما من الأفكار والمشاعر والأحاسيس، ما هي ببالغته من دون هذا التصور. ولقد ادعي ظلما وبهتانا بأن اتصال الأدب بالتصور الديني تضييق لدائرة هذا الأدب، وحصر له في لون متكرر ممل،قوامه الحديث عن الجنة، والنار ،والله،ومحمد"ص"، من خلال مواعظ كلامية باهتة»[17].

والمقصود من وراء ذلك، هو إعادة تصحيح العلاقة بين الأدب والعقيدة، وهذا ما أشار إليه الدكتور"عبد الباسط بدر"[18]، وهي علاقة عضوية لا تنفصم.

وقد حاولت العديد من الدراسات الأدبية والفكرية الحديثة، المتأثرة بالمناهج الأوروبية في النقد الأدبي، أن تعمق الانفصام بين الأدب والعقيدة، أو بين الفن والدين، إلا أن الكثير منها لم يفلح في ذلك[19]، حيث ظهرت تيارات أدبية وفكرية في أوروبا نفسها، تربط ربطا متينا بين الدين والأدب، وبين الأدب والفكر بصورة عامة.

وما من شك في أن ارتباط الأدب بعقيدة معينة، فضلا عن كون هذه العقيدة إسلامية كاملة، فهي حصانة للأديب، وعصمة له من الضياع، ليس ضمن الأهداف والمضامين فحسب، بل في مجال الأدوات والآليات الفنية المستعملة في التعبير. والدليل على هذا النجاح، تلك النماذج الأدبية العالية التي صنفت قديما أم حديثا،تلك النماذج التي ارتبطت بعقيدة معينة، أو أخذت لها منحى إنسانيا عظيما، في حين لم تلق الآداب والفنون الأخرى، التي ابتعدت عن العقائد والأفكار الاهتمام اللازم، وبقيت تراوح أماكنها فقط،واتصفت بكونها مجرد نزعات فردية بعيدة عن الإطار التاريخي والإنساني.

والمتتبع للمدارس الأوروبية الحديثة، منذ المدرسة الكلاسيكية، مرورا بالمدرسة الرومنسية، ثم الواقعية، والبرناسية، والرمزية، وكذا الوجودية، ثم الأدب الفانتازي أو ما يسمى بأدب اللامعقولا. هذه المدارس يعتبرها الكثير من الباحثين إغراقا إما في العقل أو العاطفة أو الخيال، أو حتى إغراقا في الذاتية أو البراغماتية، ذات الحدود الضيقة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقابل ذلك لم يتسم منها مذهب واحد بالعدل والتوفيق بين طبيعة التكوين الإنساني، والآليات الفنية التي يستخدمها في التعبير، حيث تميزت بتجاوز التكوين الطبيعي للإنسان، والآليات الفنية في التعبير؛ بحكم أن هذه المذاهب –من منظورهم–، كانت تصدر عن تصورات بشرية وضعية، تخضع للمعطيات المادية للمجتمع الأوروبي الحديث. ولأن ظروف المجتمعات الأوروبية تخضع باستمرار لتطورات تاريخية مستمرة، وفق التطورات المادية التي تحكمها الظروف الاقتصادية الصرفة، والناتجة أساسا عن استغلال ثروات العالم الثالث من جانب، وتوظيف المكتسبات العلمية الحديثة من جانب آخر، كانت هذه المذاهب الأدبية والفنية، تتغير بمعدل ربع قرن تقريبا، خصوصا تلك التغيرات التي حدثت ما بين أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين. وهناك من المذاهب ما وجد بعد الحرب العالمية الأولى، وزال بعدها مباشرة، أي أنه لم يبق لمدة طويلة، "كالدادوية" مثلا.

مثل هذه المذاهب الخاضعة لحتمية التطورات المادية في المجتمع الأوروبي، لا يمكن أن تعمق صلة الإنسان بالخالق عز وجل، كما أنها لم تقم اعتبارا لحركة التاريخ البشري، وسنن الكون والطبيعة، وعلاقة الإنسان بهما.

لذلك فالمهتمين بالبحث عن نظرية للأدب الإسلامي، يعتقدون أن هذه الأخيرة تساعد على إعادة التوازن بين الإنسان وأساليبه الفنية في التعبير عن ذاته، هذه الرؤية"الوسطية"والمعتدلة التي تعتمد على النظر في طاقات الإنسان كلها، ولا تغلب جانب العقل على جانب العاطفة مثلا، كما لا تغلب الاعتبارات الذاتية على مصلحة المجتمع والأمة، كما أنها لا تجعل الذات الفردية تفقد هويتها، ويذوب كيانها في الكيان العام للجماعة، هي الرؤية التي يعتقدون بصوابها، ولعلها الرؤية الوسطية النابعة من صميم الدين الإسلامي، التي يوجد تصديق لها في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [20]. وهذا تأكيد من جانب آخر لشرعية الريادة الحضارية للأمة الإسلامية، أمام سائر أمم العالم الأخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا جانب هام جدا،ومحفز لدواعي البحث عن نظرية للأدب الإسلامي، تخلص الأدب من روح المذاهب المادية الغربية، التي لم تتوصل إلى جوهر الروح المحركة للإنسان.

إن القرون التاريخية التي ساد فيها الإسلام العالم، والتي تمتد على مدار خمسة قرون أو يزيد، أنتج خلالها أدب وفن راقيين صدرا عن تصور إسلامي للحياة البشرية، إضافة إلى الرقعة الجغرافية الشاسعة من الأرض التي شغلها الإسلام، والتي امتدت فيما مضى من أسوار الصين شرقا إلى الأندلس غربا، وضمت شعوبا وحضارات إنسانية قديمة، تفاعلت أكثر مع الدين الإسلامي، وأعطت الكثير من النتاجات الأدبية، والفنية، و العلمية، والفكرية، متأثرة بالإسلام ورؤيته. كل هذه المعطيات تجعلنا أمام إمكانات بشرية هامة جدا، يمكن الإفادة من إنتاجاتها الأدبية، وإثراء التجربة الإنسانية المعاصرة بها.

«إن بحثنا عن الأدب الصادر عن رؤية إسلامية في هذه المساحة الزمنية والمكانية، تجعل عملية التنظير للأدب الإسلامي سهلة وفي متناول اليد، وسوف تكون هذه النظرية من العمق والشمول والواقعية، ما يتناسب مع عظمة الإسلام من جهة، وسعة انتشاره الزماني والمكاني، واستثماره وتفجير الطاقات البشرية من جهة أخرى»[21].

ودون التواصل المكاني الطبيعي، نكون أمام نتاجات فكرية وأدبية وفنية، تابعة لقوميات مختلفة،كل قومية على حدة، وبكل تأكيد ستبدو فيما بعد التمايزات والاختلافات بين هذه القوميات، وتنشب الصراعات فيما بينها، التي لا تؤدي لتكامل الرؤية، أو توحيدها، من خلال خضوعها لعامل واحد ينظمها هو الإسلام.

وحال توفر إمكانية البحث الأدبي المقارن والشامل،بين الآداب العالمية المختلفة، كالآداب العربية والآداب الفارسية، والآداب الهندية، والآداب الأوروبية، والآداب التركية، والآداب الإفريقية المسلمة، سيكون عطاء نظرية الأدب الإسلامي عظيما دون شك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأتي أهمية الأدب الإسلامي في مرحلة هامة من تاريخ الأمة الإسلامية، وهي المرحلة التاريخية التي أعقبت سيطرة أوروبا على مقدرات الأمة العربية الإسلامية، أي المرحلة التي جاء فيها الشعور بأهمية تغيير الواقع الذي خلقه الاستعمار الأوروبي. وهي المرحلة التي سميت بعد ذلك بمرحلة "الصحوة"، أو مرحلة التخلص من مخلفات الاستعمار الذي اجتهد بأساليبه المختلفة،من أجل محو مقومات الشخصية العربية الإسلامية في العالم العربي الإسلامي، وذلك بالعودة إلى قيم الدين الإسلامي الحنيف.

وإذا كان لابد لهذه الصحوة والتحرر من ربقة الأجنبي، من رصيد فكري وعقيدي، نستعين به على الصراع الطويل ضد القوى الغربية، فإنه من الضروري تميزها بطريقة شمولية وحضارية تستوعب مختلف المجالات التي شابها الغزو الفكري والثقافي، كالعلوم الاقتصادية، والعلوم الاجتماعية، وعلم النفس، ثم الثقافة والفنون، والآداب. ولعل مثل هذه الميادين،من أكبر الميادين في الحياة العربية التي شابها الغزو الثقافي.

وفي حال استعادة الأمة لكيانها المميز بخصوصياته الحضارية، فستتميز حتما بنشاطاتها الإنسانية المتعددة،وأبرزها النشاط الأدبي والفني. وقد رأت النخبة الثقافية في العالم العربي، كيف كان للثقافة الغربية مدارسها الأدبية؟ وكيف انعكست الرؤية الرأسمالية، على مذاهبها الفنية، ولونتها بواقعيتها وتصورها للحياة؟ وكيف أسس الاتحاد السوفياتي سابقا، رؤيته هو الآخر،والخاصة بالفن والأدب، ثم سحبها بعد ذلك على تفسير الإنتاج الأدبي في التاريخ الإنساني من جانب، ومن جانب آخر أنتج أدبه ورؤيته الإيديولوجية؟ ولعل تساؤلات عديدة تطرح عن مدى تأثير مثل تلك المذاهب الغربية في النخبة الثقافية العربية، ومدى استيعاب المثقفين العرب لهذه المذاهب؟ وعن الدواعي التي حدت بهم إلى تبني هذه الرؤى، والمذاهب الفكرية والفنية[22]؟

إن حالة التدمر التي أصابت العالم العربي والإسلامي في أرضه وإنسانه، ي تاريخه وحضارته، انت تدميرا شاملا استهدفت مجمل المقومات الحضارية للعالم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربـي والإسـلامي، وإن تظـاهرت بمسـوح التحضـر والتمـدن، والحريـة والإخـاء، والمساواة. وهذا ما أنتج حالة تحفيز حقيقية لدى أبناء الوطن العربي والإسلامي، بالعودة إلى قيم الأصالة والتميز عن الحضارة الغربية، وخلق حالة من الوعي بأهمية التخلص من آثار التبعية الاجتماعية في مختلف مجالاتها وأوجهها، وإرساء معالم البناء الجديد. وكان من نتائج هذا الوعي، التأسيس لكيان جديد وفق خصوصيات حضارية، تنبع من قيم المجتمع العربي الإسلامي.

إضافة إلى ذلك ففكرة إثبات الوجود بمقومات وإمكانات خاصة مميزة،صارت اليوم من خصوصيات الوعي لدى النخبة المثقفة في العالم العربي، وهي الفكرة التي جعلت تحرك كيان هذه النخبة، وتلون مختلف أنشطتها الثقافية والإبداعية. ووفق رؤية"كسير لنج"، تبدأ دورة الحياة في مجتمع ما، عندما تشرع المبادئ الأخلاقية تميز دورة التاريخ [23]، وما من شك في أن الحضارة العربية الإسلامية، تميزت عبر عصورها بالميزات الأخلاقية السامية، التي توفق بين الروح والعمل،وبين سلوكات الفرد وأخلاقه.من هذا المنطلق « سيكون الأدب الذي تغذيه هذه الروح –الفكرة الجديدة– أدبا غاية في الحيوية والخلق. وسيضيف لرصيد التجارب الإنسانية في عالم المشاعر والأفكار والأخيلة، زخما يغير حالتها الراهنة المغرقة في الأرضية والنفعية، إلى حالة من الوجود الإنساني الحميم، والتجاوب الإنساني لنداء الملكوت الأعلى»[24].

إن وجود نظرية للأدب الإسلامي، ضرورة عصرية ملحة، كالإسلام تماما الذي يعد من أكثر وأهم الضرورات الملحة للإنسانية جميعا.

ولا يعني هذا أن الاقتداء بالإسلام، كوجهة للأدب، عودة بالتصور الفني والأدبي إلى الخلف، كما يرى بعض المنظرين من دعاة الحداثة والمعاصرة. لأن الرؤية الإسلامية للأدب «هي بالضرورة المعاصرة، والحديث الدائب المستمر، ولكن باتجاه إسلامي، وغاية إسلامية، وهداية ربانية »[25].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك أكثر من ملمح فكري، ونفسي وفني،بضرورة تأسيس نظرية إسلامية للأدب، لما لهذه النظرية من إيجابيات، وتوازنات على مستوى الفكر، وملامح الكمال الفكري والفني معا.

-ج-الأدب ونظرية الالتزام:

مبدأ الالتزام مبدأ متأصل في الإنسان بدافع الفطرة. فقد يلتزم الإنسان بعقيدة معينة، كما قد يلتزم بسلوك معين، ويلتزم بموقف معين، أو إيديولوجية معينة.

في هذا الصدد تتم مناقشة علاقة الأدب بنظرية الالتزام، وهي القضية التي طالما خاض فيها النقد الأدبي، وتحدثت عنها النظريات الأدبية المعاصرة مطولا.

في الغالب الأعم يلتزم الأدب بموقف معين، أو إيديولوجية معينة، وهي القضية التي شهدت مزيدا من النقاش في النقد الأدبي الحديث، بعد بروز المعسكر الاشتراكي في مطلع القرن العشرين، وصعود الإيديولوجية الماركسية، إلى واجهة الفكر والفلسفة العالميتين.

في مناقشة موضوع الأدب الإسلامي، في علاقته بنظرية الالتزام، يتغير المصطلح نسبيا، من غير أن يتغير معناه. لأن النقاد الذين اشتغلوا مطولا بنظرية الأدب الإسلامي، يناقشون مسألة الالتزام، بمصطلح العلاقة بين الأدب والعقيدة.

وعلى امتداد مراحل التاريخ البشري، لم يعش الإنسان بمعزل عن فكرة أو عقيدة معينة، أو حتى مبدأ أو تصور عن الكون والحياة، وهذا على اختلاف عمق ذلك المبدأ، أو طبيعة تلك العقيدة أو الفكرة. ولكن ما يعرف هو أن لا خلاف حول المبدأ أو العقيدة، فقد يكون دينا مصدره وحي السماء، أو تصور ما عن الكون والحياة الذي لا يعتمد على دين سماوي، ولكنه يأخذ منه جانبا محددا، ويبتدع له بعد ذلك مفاهيم وتصورات لا تتفق مع المبادئ العامة للدين السماوي.

غير أن هذا التصور تبقى له خصوصية معينة من خصوصيات الدين، من حيث ما يتعلق بالرؤية إلى ما يكمن وراء الطبيعة، أو المصير الإنساني بعد الحياة، أو العلاقات العامة التي تنظم شؤون الحياة البشرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن منظور العقيدة الإسلامية والمسلمين، الفكرة عن الدين السماوي واضحة جدا في مختلف المراحل والمستويات، سواء تعلق الأمر بوحدة المصدر، أو وحدة المنهج الذي جاء به الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–، أو وحدة السلوك البشري في الطاعة أو المعصية.

من جانب آخر لا يمكن إحصاء عدد العقائد التي اعتنقها البشر، والتي شملت مواقع كثيرة من الأرض على مدار التاريخ كله، سواء ما كان تحريفا للدين السماوي السمح، أو كان ابتداعا أو تنكبا عن طريق الدين السماوي. ويبقى الإنسان في جميع الأحيان مرتبطا بدين معين أو عقيدة محددة،الشئ الذي يثبت أن فكرة الالتزام بعقيدة معينة،هي من صميم الفطرة البشرية، ولم يستطع الإنسان التنصل من هذه الفطرة، وإن اختلفت مظاهرها، وصورها، أو اتخذت لها بدائل أخرى من التصورات والمفاهيم.

وبحكم أن الدين تصور شامل عن الكون والحياة والإنسان،له انعكاساته على مختلف الأنشطة الإنسانية، وعلى سلوك الفرد وثقافته، هذا الانعكاس قد يكون بارزا أو مباشرا، وقد يكون خفيا أيضا، لأن الدين هو الجو العام الذي يثبت فيه البشر وجودهم، والمحيط الذي تدور في إطاره نشاطاتهم. إضافة إلى ذلك فهو الضمير الجمعي للأمة أو الجماعة التي تعيش في محيط اجتماعي، أو بيئة إنسانية معينة.

لذلك تختلف ثقافات الشعوب، وتتعدد توجهاتها في الحياة، تبعا للتصور الكوني العام، الذي يستمد عناصر وجوده من الدين الشمولي.

بعد هذا العرض يمكن طرح السؤالين الآتيين: ما هي العلاقة القائمة بين الإنسان والفن والأدب؟. وما هي علاقة الفن والأدب بالدين أو العقيدة؟. وهي الرؤية التي تصوغ منظور الالتزام في الأدب–كما سبق القول–.

إن صلة الإنسان بالفن، صلة ذات أبعاد تاريخية وثيقة جدا، وجدت هذه الصلة منذ وجود الإنسان وإقامة محيطه الاجتماعي، وتكوين علاقات اجتماعية مع بني جنسه من البشر. «فكان هذا الفن وسيلته لتصوير أحاسيسه إزاء المحيط الطبيعي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي ولد فيه، ووسيلته لتصوير مخاوفه ومباهجه في هذا الوسط، بالإضافة إلى التعبير عن موقفه من تلك العلاقات الاجتماعية. فأنت لا تجد جماعات بشرية إلا وعبرت عن هذه الأحاسيس حتى لو كان تعبيرا بسيطا ساذجا،يناسب طفولة البشرية وحياتها الأولى، في الكهوف، والغيران، والغابات»[26].

ولما كان الدين ذا علاقة فطرية مباشرة مع الكيان الإنساني، يجيب على مختلف التساؤلات الكبرى والجوهرية، يرسم تصور الإنسان للوجود، يحدد له أنماط علاقاته الإنسانية، بحسب طبيعة هذا الدين ومصدره، فإن الفن في المراحل الأولى من الوجود البشري، ثم الأدب بنوعيه الشعري والسردي بعد ذلك، كان الوسيلة المفضلة للإنسان للتعبير عن تصوراته الدينية، وتجسيدها في شكل رسومات، أو حركات، أو كلمات، أو أشكال..

وقد سجل الباحثون في تاريخ الفن والأدب، أن أولى بدايات الفن والأدب، كانت بتصورات دينية عقيدية صرفة؛ بمعنى أن العقيدة الدينية كانت من أهم مضامين تلك الآداب، فكان الأديب بمثابة الكاهن، والفنان يبدع رسوماته، ومنحوتاته في محاريب العبادة، وساحاتها وهياكلها.

ومن خلال المراحل الموالية من التاريخ الإنساني، بقي الأدب محافظا على مكانته القريبة من الدين ومحيطه؛ فالآداب اليونانية، والرومانية، والأوروبية في العصور الوسطى، والأدب الغربي إلى غاية عصر النهضة الأوروبية الحديثة، جميعها كانت تنمو وتتطور متأثرة بقناعات وتصورات دينية في مراحلها المختلفة[27].

ولم يحدث في البداية الانفصام أو القطيعة بين الدين والأدب والفن، إلا في المراحل الأخيرة والمتقدمة من تاريخ الحضارة الأوروبية، خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، حين توجه الأوروبيون للبحث عن بدائل أخرى للدين في الفلسفات الوضعية، ذات النزوع المادي بالدرجة الأولى، وهذا نتيجة الاكتشافات العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى العموم فإن الأدب وإن كان قد انفصم عن الدين خلال القرنين الثامن عشر،والتاسع عشر الميلاديين، فإنه لم ينفصل عن مبدأ معين يوجهه، أو إيديولوجية ما تحدد طبيعة عمله، أو عقيدة يستند إليها مهما كان مصدرها.

ومتابعة المذاهب الأدبية الأوروبية، بدءا من المذهب الكلاسيكي، وصولا إلى آخر مذهب فني أو أدبي خلال القرن العشرين، يلاحظ أن هذه المذاهب جميعا قد صدرت عن عقيدة معينة، أو مفهوم بارز في الحياة البشرية. وحتى مذهب الفن للفن الذي يعني في ظاهر تسميته عزل الأدب عن الحياة، ومختلف المؤثرات الاجتماعية والفكرية، فإنه يعبر عن موقف محدد إزاء الحياة، كما يصدر عن تصور فكري أو عقيدي ما، وفق منهج معين.

يسوق هذا الرأي إلى الحديث عن علاقة الأدب بالإيديولوجية، عوض علاقة الأدب بالدين أو العقيدة. وتعني هذه الإيديولوجية فضلا عن كونها "علم الأفكار"كما هو محدد من حيث المفهوم الاصطلاحي، «الإيمان بنظرية فلسفية تفسر الفعل البشري وبواعثه، وتحدد مهمة الإنسان في الحياة وعلاقاته» [28]. والأقرب إلى الرؤية الموضوعية،أن الإيديولوجيات الفكرية والفلسفية التي ظهرت حديثا في العالم، هي في حقيقتها أفكار دينية، بصرف النظر عن طبيعتها وطبيعة المصدر الذي تصدر عنه،لأنها تقدم رؤى عن الإنسان والعالم، فضلا عن أنها تجيب على مختلف الأسئلة المطروحة، بشأن ملابسات الحياة الإنسانية في جميع ميادينها.

ويشيع في المعتقد الإسلامي، أن فكرة الكمال خاصة بالخالق فقط، وهو "الله"–عز وجل–، باعتباره الذات الكاملة التي لا يشوبها النقص. هذا يقود مباشرة إلى الإيمان بأن العقيدة الإسلامية، هي الدين السماوي الكامل الذي لا يعتريه النقص، فمن شأنه إشباع كل النوازع الفطرية للإنسان. وهذا ما لم يتوفر بالفعل في الإيديولوجيات الحديثة، أو المعتقدات الدينية الأخرى التي ظهرت قديما أم حديثا. فعلى الرغم من الإجابات المختلفة التي قدمتها، فهي لم تتمكن من إشباع النوازع الفطرية للإنسان، وظلت تلك النوازع على درجة من التمرد والرفض. والإنسان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأوروبي حين عاش بعيدا عن تلك النوازع والمتطلبات، بقيت حياته على درجة من القلق والاضطراب، والشتات، رغم الثراء المادي، والرفاهية الاقتصادية. وبقيت تلك النوازع على مستويات متفاوتة من الإلحاح، حتى ظهرت في العديد من مظاهر الحياة الأوروبية.

ومن سوء الفهم الاعتقاد أن الحياة الأوروبية كلها فساد، وشهوات، وبحث عن المادة، وانغماس في ملذات الحس، وخضوع لقيم العلم فقط، بل هناك مظاهر حياتية في أوروبا عديدة، يبدو فيها أثر الدين قائما.

والمهم هو رصد المظاهر التي تثبت العلاقة بين الأدب والدين، على وجه الخصوص. فمثلا الشاعر الإنجليزي "ت.س.إيليوث"، الذي أسس لرؤية هامة في الشعر الغربي، يؤكد أن القوة الروحية لشعره هي تلك الرموز الدينية. بالإضافة إلى بعض أعماله النقدية التي تركز على أهمية التراث في الإبداع الأدبي؛ هذا التراث الذي تمثل عملية الالتزام به، والعودة إليه،من أبرز مظاهر العملية الإبداعية. وفي هذه الحال يمكن مراجعة مقالته الشهيرة"الأدب والدين"[29]، إضافة إلى إنتاجه الشعري المميز.

وضمن هذا الاتجاه هناك دراسات أخرى تلتقي مع الدين، في نظرتها للإنسان في الأدب، « وهو اتجاه حرص فيه بعض النقاد والدارسين على بيان الصلة الوثيقة بين (التركيبة الشخصية) أو الذاتية التي عليها الإنسان، وموقفه من الدين، ونوع وطبيعة هذا الدين»[30].

ولا نتصف بالمغالاة إذا اعتقدنا أن الربط بين الدين والأدب، صار اليوم يعرف طريقه بشكل تدريجي في "روسيا الجديدة"، بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، نتيجة التحولات الحاصلة في المجتمع الروسي اليوم. وحتى"المستقبليون "الذين حاولوا قطع الصلة مع التراث الروسي، وفي مقدمة ذلك الدين، باءت محاولاتهم بفشل حقيقي، لأن مثل هذه المحاولات اصطدمت بالوجدان الشعبي، فظهر بذلك جديد يحبذ العودة إلى التراث وقيمه[31].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى في الفترات التاريخية التي اتجهت فيها أوروبا اتجاها مضادا للمعتقدات الدينية ،«وجدنا من الشعراء من يدفعه الشعور الديني، والتربية الدينية إلى المخاطرة، والمغامرة بحياته. فهذا اللورد"بايرون"الشاعر الرومانسي الإنجليزي يغادر وطنه، ويتجه إلى اليونان ليشارك في الحرب ضد الأتراك المسلمين، ويموت هناك في سوح القتال. لا نذكر هذا من باب التعصب ضد أوروبا، ولكنه الواقع الذي لا يمكن تغطيته!!، بل إن هناك بعض الأشعار والأناشيد الدينية، كانت ترافق الجنود في كثير من الحروب الاستعمارية الحديثة. والأمر نفسه يقال بالنسبة للمسلمين، في ردهم للعدوان الأوروبي الحديث؛ فكان الدين المصدر الأول لشعرائهم، وخطبائهم، وقادتهم، وكان هذا قبل أن يتمكن الأوروبيون من السيطرة على العالم الإسلامي، وإضعاف الشعور الديني، والقيم الدينية لدى المسلمين»[32].

ولأن الدين يمثل عقيدة أساسية، وشاملة، ومنظومة من القيم أيضا، يتمسك بها الإنسان، فيهدي بها روحه،ويقوم سلوكاته، فيكون بذلك وسيلة للعطاء، له ولبني جنسه. فتصبح الحياة ساحة واسعة لتنافس شريف، تزول فيه نماذج الصراع، التي تغذيها النوازع الذاتية، وقيم الظلم والازدراء، فيعيش البشر مع بعضهم البعض بقيم نبيلة توحد أحاسيسهم، وتحدد لهم هدفا واحدا، هو خلافة الله في الأرض.

في هذه الأجواء الرحبة الواسعة، تتفتح الأحاسيس الإنسانية، وتتفاعل المواهب، فتبرز الكشوفات، والإبداعات التي يحققها الإنسان في عالم من الحب، والوفاء، والإخاء، والسعادة الإنسانية، في ظل العدالة، والمساواة. ويجتهد بذلك الإنسان في عمارة الأرض، بعد أن صارت مهيأة لاحتضانه، ومده بالخيرات، والنعم، ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا، واتقوا، لفتحنا عليهم بركات من السماء، والأرض﴾ [33].

من هذا المنطلق يتجاوب الفن مع هذه الأصداء، ويحتضن القيم التي ينادي بها الدين، ويسعى لترسيخها. وهذه طبيعة الفن الذي يطمح إلى المثل العليا، والمراتب السامية، بتحقيق هذه القيم النبيلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفن في الفترات التاريخية المتعاقبة، تمكن من الاقتراب أكثر من هذه القيم، واستطاع إحداث التأثير في مختلف مظاهر الحياة، وأعماق النفس[34]. وفي الوقت الذي يبتعد فيه الفن عن القيم النبيلة، سيساعد حتما على إفساد المتعة والذوق، والإحساس بمتعة الحياة.

وفي رأي المختصين في مجال النقد الأدبي، أن الفن يجب أن يكون مثل الدين تماما، يقوم على أساس أخلاقي، حيث أن «الروح الأخلاقية عند الفنان كعبقريته، يجب أن ينبعا معا في وقت واحد من أعماق طبيعته. وأن الفن غير الأخلاقي هو على كل حال أحط مرتبة، حتى من وجهة النظر الفنية الخالصة»[35].

ولا يقصد بالقضية الأخلاقية في الفن، الوعظ والإرشاد المباشرين، بل للفن أدواته التصويرية التي تخصه في حال نقل الأحاسيس الأخلاقية، وتعميقها في النفس البشرية. يبدو هذا بوضوح جلي في قصص القرآن الكريم، التي تسعى إلى ترسيخ الوعي الأخلاقي، وتعميقه في ضمائر الناس، من خلال إيحاءاته الشفافة التي تهدف إلى الوعظ، وأخذ العبر.

وبهذا يكون الأدب الإسلامي، يمرر هدفه الأخلاقي من خلال عالم ممتع ويميل بعيدا عن الشعارات والدعوات المجردة، أو المفاهيم المباشرة[36].

وهناك نقاش يجري في الدراسات النقدية الخاصة بنظرية الأدب، والذي مفاده أن الدين أو الإيديولوجية، هي جملة من التصورات الذهنية، والمفاهيم العقلية، التي تصوغ موقفا فكريا محددا إزاء قضية ما، أو وضع ما، أو ظرف من الظروف. بينما الأدب والفن شيئان طليقان لا يمكن أن يحددا ضمن تصور ديني معين، أو إيديولوجية محددة، فهما بذلك يتجاوزان كل الحدود[37].

ومن الناحية الموضوعية، هذا الرأي لا يستقيم عمليا، ولا نظريا؛ فمن الناحية النظرية مثلا، إذا استقام جزء من هذا الرأي مع بعض الإيديولوجيات والأفكار الوضعية، فإنه لا يستقيم مع الدين، خصوصا مع العقيدة الإسلامية. لأن الإسلام عقيدة لا تتصف بالمحدودية، فهو عقيدة ذات نظرة شمولية غير محدودة بزمان ومكان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معينين، تنفسح لمختلف المتطلبات الروحية للإنسان، وتجيب عن مختلف تساؤلاته الفلسفية، وتحقق له الحياة السعيدة.

وتجدر الإشارة إلى وجود بعض الخطوط العريضة، التي تعد من الثوابت في العقيدة الدينية، وليست خاضعة للتطور، والقيم الأدبية والفنية، هي قيم متطورة، وذات خصوصية متعلقة بطبيعة الزمان والمكان، لكن هذا التطور في الأدب والفن، هو ضمن دائرة المباح في نظرية الأدب الإسلامي، الذي طالما استجاب لضرورات البناء الفني.

وعليه فقضية التطور من عدمها، لا تمثل إشكالا، بحكم أن حركة الفن الدائمة والمستمرة في تناقضاتها مع بعض الإيديولوجيات أو الأديان، التي ترفض الحركية، وتقيد الأدب والفن.

«وفي بحثنا عن الصلة العضوية بين الدين والأدب، وتاريخية هذه العلاقة منذ أقدم العصور،يجب أن نزيل وهما علق في أذهان الكثير من الناس، وهو أن الصلات بين الدين والأدب، أن كل واحد منهما يستلهم مفاهيمه من الغيب، ومن الأجواء العليا، ومن السماء؛ نجد هذا في تصورات العرب القدامى لطبيعة الخيال الشعري وارتباطه بعوالم الجن والشياطين، كما نجد تأسيسات هذا التصور في النظرية الرومنسية للأدب، حيث جعلت من الشاعر عبقريا ملهما، ورفعته إلى درجة النبوة»[38].

وفي حقيقة الأمر يحوي هذا التصور الكثير من رؤى التجاوز، مع أنه من باب الموافقة الإقرار بأن الأدب هو نتاج فعلي للروح والمشاعر السامية للإنسان، كما أنه ليس نتاجا ماديا بحتا، ولا عقليا بحتا. ومن منظور التصور الإسلامي للإنسان وأدبه، لا يمكن الإقران بين الشاعر والنبي، إلا في مواضع محددة، كذاك القائم المشترك الذي يقر بأن كليهما صاحب رسالة وهدف، كما أن كليهما يعد مبلغا. «ولكن مسألة مصدر الإلهام لكل واحد منهما مختلف تمام الاختلاف. فالنبي إنسان اختاره الله لتبليغ رسالة دينية واضحة المعالم، والشاعر إنسان ممتاز يعبر عن تفاعله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالحياة، ووظيفته إزاء الحياة، بأدوات فنية متميزة، ويتجاوز في تصوراته حدود الواقع المادي إلى ما فوق الواقع. كما يمكن أن يرسم تصوره الخاص عن المستقبل، ولكنه في الأحوال كلها، لا يلتقي مع النبوة في مصدر الإلهام المباشر، الذي هو خالق الوجود سبحانه وتعالى.

وهذه قضية واضحة لا تحتاج إلى تأكيد، ولكنها تتكرر كثيرا في الدراسات النقدية الأوروبية والعربية، المتأثرة بأجوائها وتوجهاتها»[39].

إن الربط بين الدين والأدب رأي يكتسي الكثير من طابع الموضوعية، سواء تعلق الأمر بالإبداع الأدبي كإبداع، أم تعلق بالدراسات النقدية، وفق مناهج تحليلية معينة. فالكثير من الدراسات تهتم بتحليل نفسية الأديب، والمؤثرات التي تؤثر في أدبه، وتدرس أيضا بيئته، وثقافته، ونشأته. ثم إن التصورات الشمولية للدين تلقي بظلالها دون شك على طبيعة البيئة، وخصوصية الثقافة والتربية. وهذه الجزئيات الحياتية هي في حقيقتها آثار وتجليات للتصور الديني عن الكون والحياة والإنسان.

ونتيجة لذلك تختلف الآثار الأدبية من شاعر مسلم عن شاعر مسيحي مثلا، وسبب هذا الاختلاف ليست الطبيعة وحدها في خصائصها المادية، بل البيئة والثقافة أيضا لهما تأثير في التصورات الدينية، وما يترتب عن ذلك من حركة الحياة وتفاعلها.

من هنا نستخلص بأن الدين هو البيئة الأساسية، التي تطبع وتميز كل نشاط في الحياة. وهي البيئة التي تتجاوز الأسباب النفعية والآنية، إلى التفاعل مع الحياة الاجتماعية والكون بصورة عامة، بل إنها تتجاوز ذلك إلى إحداث العلاقة الآنية بين التحرك الحياتي، وما وراء الحياة. والأدب في هذه الحال هو هذا النشاط الفكري للبيئة الأساسية، أو جزء من ذاك النشاط على وجه الدقة[40].

وفي جميع الأحوال، لا يمكن عزل النشاط الفكري والفني، عن المؤثر الأساسي الذي هو العقيدة، أو الإيديولوجية التي ينتمي إليها المجتمع، ذلك «أن الدين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو ألف باء الجمالية وياؤها، فالفن يبدأ وينتهي بالمقدس»[41]، ذو النظرة،والرؤية الشمولية، والأدب والفن بتصويرهما لهذه الرؤية.

-د-القيم في الأدب الإسلامي:

من المفيد الإقرار بأن التجربة الأدبية، لا تتجزأ إلى قيم فكرية وأخرى شعورية، وقيم أخرى جمالية، إنما هي كيان واحد، ووجود متناسق ومتكامل في الآن ذاته. لا تبدو حقيقته إلا بالنظر إليه من خلال هذا التكامل الذي يميزه.

ومن المفيد أيضا، ألا نفاضل بين القيم الفنية في التجربة الأدبية، بحيث أن لكل قيمة وظيفتها الخاصة بها، في منح التجربة الأدبية أو الفنية روح الحياة، والقدرة في التأثير، وإحداث الانفعال المنتظر في نفوس المتلقين.

وتجدر الإشارة من البداية أن الإسلام لا يؤكد على قيم الجمال، بقدر ما يؤكد أكثر عل قيم الحق. إذن فالجمال من منظور الرؤية الإسلامية في الأدب والفن ليس هدفا فعليا[42]، وهذا ما يمكن من الابتعاد أكثر عن المذاهب الأدبية والفنية، التي تهتم بالجمال دون سواه، كما يمكن من الابتعاد أيضا عن المذاهب التي تعنى بالفكر بشكل تذهب معه القيم الجمالية. والمسألة في هذه الحال بحاجة إلى تحديد نقاط التمايز والالتقاء بينهما وبين الظواهر الأخرى، كما أنها بحاجة إلى تحديد نقاط التفرد.

1-القيم الفكرية:

من الممكن جدا القول بأن الإسلام يؤكد على الحق، ويلتقي بذلك مع المذاهب الأدبية الأخرى، التي تختص بعناية هامة للفكر، الذي يمثل وجه الحق بالنسبة إليها. لكن ما يؤكده الإسلام، هو أن الحق لابد أن يأخذ قيمة جمالية في ذاته، وفي الشكل الفني الذي يعرض فيه. وبناء على هذا فهو يرفض أن يكون الحق يغير شكله الفني الذي يمكن أن يعرض فيه فنا، إنما هو فكر محض لا ينتمي إلى دائرة الأدب والفن.

في هذا الصدد يمكن الإشارة فقط إلى الملامح العامة، التي توضح استقلالية الأدب الإسلامي في رؤيته الفكرية، وهي استقلالية يجدر التأكيد عليها، أكثر من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التأكيد على القيم الجمالية، التي من الممكن أن تكون ملكية مشاعة لمختلف المذاهب الأدبية.

«ولكننا في القاعدة الفكرية إزاء تصور للكون والإنسان والحياة، لا يستعير مثله من أي تصور آخر، تصور فريد في شموله واتساعه للمساحة الزمنية والمكانية في هذا الوجود»[43].

تعتبر "الربانية" في هذا التصور هي الأساس الأول، بمعنى أن هذا التصور مأخوذ في جوهره العميق من الرسالات السماوية التي أرسلها "الله تعالى" إلى البشر. وهو تصور تربوي وإرشادي، يقود العباد إلى سبل الهداية والرحمة، حتى لا تتفرق بهم السبل وتتشعب. يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما، فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل، فتتفرق بكم عن سبيله﴾ [44]. هذه الاستقامة هي صفة صراط الله تعالى، وهي منهجه الذي ينعكس على التصور، فيجعله صراطا قويما.

وتعني الربانية هنا،نسبة البشر إلى خالق واحد، هو الله سبحانه وتعالى. كما أن هذه الربانية لا تختص بوطن معين، أو قبيلة ما، أو حزب، أم جماعة معينة؛ فالبشر عباد الله، ويشعرون بالعبودية، وبعزة العبودية لله تعالى وحده.

يولد هذا الشعور نفوسا تنطلق من فطرة سليمة، وتعبر بطلاقة عن ذاتها الحقيقية، بعيدا عن أي تأثير خارجي مكتسب، وهذا ما ينتج كيانا إنسانيا منسجما مع ذاته، من خلال كونه مادة وروحا معا.

إن التصور الرباني السليم، يتميز عن التصورات البشرية الأخرى، التي صنعها الإنسان للخالق، وجعلها بدائل غير موضوعية للمصدر السليم للعقيدة الدينية. وحاول أن يجعل منها تصورات مطلقة، إلا أن هذه التصورات ظلت عاجزة عن ذلك التسامي المرجو، وبقي الإنسان لصيق الأرض بتصوراته الوضعية.

وحين ينعكس هذا التصور على أدب معين أو فن معين، فإنه يطبعه بطابعه المميز، فيصعد به إلى أفق سام، بعيدا عن قيود الأرض، دون فصله عن الحياة الطبيعية للإنسان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن الربانية التي تكرس قيم الحق، والحب، والعدل، والجمال، والأخوة، يولد حب الإنسان لأخيه الإنسان، ويرتفع قدره في قلب أخيه. ومع هذا الحب يجد الأدب والفن العالم الرحب والواسع، البعيد عن روح الصراع الذي كرسته الفلسفات الوضعية القديمة منها والحديثة؛ وهو الصراع الذي حددت كثيرا هذه الفلسفات طبيعته، وجوهره، وأبعاده، حيث يتنوع بين صراع الآلهة في التصورات الأسطورية القديمة، وبين صراع البشر،ثم صراع ضد الضوابط الاجتماعية والأخلاقية، أو صراع يناهض الذات والإيديولوجيات الوضعية، التي يعتقد أنها لا تصلح لتنظيم وضع اجتماعي معين. والنتيجة من هذا الصراع فقدان كل نماذج الحب، والتعايش، والعيش الهنئ.

ولقد كان في الرسل والأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–، الذين اختصهم الله تعالى بحمل رسالاته القدوة الحسنة، والمثل الصالح في التعامل مع الناس. وليس من الغريب أن يكون أنصار الرسل من المستضعفين في الأرض. وهذه المثل ستكون حتما مصدرا أساسيا من مصادر الأدب في الجانب الفكري والأخلاقي.

والعقيدة الإسلامية التي مصدرها رباني مؤهلة ليتفاعل معها الإنسان، بكل إيجابية وفعالية، لا تضاهيها فعالية أخرى في الوجود، لأنها تميزت بالربط التلقائي بين الإيمان الصادق، والعمل الصالح، يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿إن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، أولئك خير البرية﴾[45]، هؤلاء يمثلون نخبة المجتمع، لأنهم لا يقتصرون على الإيمان فقط، بل يرفقون هذا الإيمان بالعمل الصالح. والعمل الصالح مفهومه هنا واسع ومطلق، لم يحدد نوعه، المهم أنه عمل صالح.

إن الفعالية بين الفكرة والموقف،تذكر بموضوع الالتزام في نظرية الأدب الإسلامي، وهو الالتزام الذي يحدد للإنسان هدفا في حياته، ويجعل من المفاهيم والأفكار التي يتلقاها، ويستوعبها وسيلة لبلوغ غاية معينة، ومادة حركية لبناء الذات والمجتمع وفق منظور التصور الإسلامي.

ومن السمات البارزة في الفكر الإسلامي، التركيز الدائم على القيم الأخلاقية، وهي القيم التي بدت بوضوح في المجتمع الإسلامي في مختلف العلاقات الاجتماعية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسياسية، والاقتصادية على حد سواء. بحكم أن مجمل العبادات التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف، موجودة في مختلف مظاهر الحياة، وليست مقتصرة على المسجد فقط، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي، لله رب العالمين﴾[46]. ومن البديهي أن هناك مسافة بين حياة الإنسان ومماته، مقدرة في علم الغيب الذي استأثر به الله تعالى وحده، هذه المسافة تميزها علاقات متشابكة، فلا يمكن أن تقتصر مرضاة الله تعالى على الصلاة والنسك وحدهما فقط، بل هذه كل ما تشمله الحياة التي يحياها المسلم، فهي لله، ومن أجل ابتغاء رضاه، وهي العبادة الحقة.

والعمل الأدبي الذي يرصد هذه الظاهرة، ويجسدها في مضامينه، لابد أن يتبنى مواقف دينية وأخلاقية في الآن نفسه. ولا يمكن الحديث عن أدب إسلامي بصريح العبارة، دون وجود للوازع الأخلاقي.

وفي الحديث عن الأخلاق لا يقصد من وراء ذلك الجوانب الوعظية المعروفة، إنما المراد بها هي ذلك الوازع الروحاني الذي يحرك الأفراد والجماعات، والقيم التي تبني الحضارات المؤثرة في حركة التاريخ، وتقيم المجتمعات الناضجة التي تسجل حضورها القوي في تاريخ البشرية. إذ التاريخ في حد ذاته هو هذه الحركة المستمرة للإنسان، وهو النموذج الذي تصوغه القيم الأخلاقية، وتشيد بنيته.

وقد سجلت تحفظات هامة على الأدب الذي تنافى مع الأخلاق تنافيا كليا؛ وحتى وإن وجد هذا الأدب في فترة تاريخية من تاريخ أوروبا، فقد عبر عن فترة تدني حقيقية لمختلف القيم الإنسانية في تاريخ الأدب الأوروبي، وهي الفترة الإقطاعية التي سادت فيها القوة، وصار لها منطق الحكم والتحكم في رقاب البشر، وتسيير حياتهم،وتحديد مصائرهم. وهي النتائج التي انعكست بشكل واضح في الحربين العالميتين اللتين عاشت أوروبا أوارهما.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع أنه في جوانب أخرى يجب الإقرار الموضوعي، بأهمية الرؤية الواقعية في تصوير الأدب لطبيعة الحياة، وأهمية الرؤية الانتقادية التي تبنتها أعمال أدبية، وفنية في السعي نحو إصلاح الوضع القائم.

وتجدر الإشارة إلى أن الحركة التاريخية المستمرة لا تشمل التطور المطلق في الفكر الإسلامي، بل إن هناك إطار عقيدي ثابت لا يناله التطور، هذا الذي يختص "بالذات الإلهية"، والمتمثل في قدرة الله تعالى، وسرمديته، وصفاته الحسنى. ويختص أيضا بعبودية الخلق له، وأخذهم منهج الهداية منه، والإخلاص له قولا وعملا. إلى جانب جوهر الغاية من وجود الإنسان، وحقيقة الدين عند الله وهو الإسلام، لقوله تعالى: ﴿ومن يبتغي غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[47]. وفهم حقيقة الحياة الدنيا التي هي دار ابتلاء وعمل لا تدوم، وأن الآخرة هي دار الحساب والجزاء، مصداقا لقوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا، كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض، فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شئ مقتدرا﴾[48].

هذه الحقائق هي حقائق ثابتة، ومقومات أساسية لا تعرف التغيير، كما لا تعرف التطور. والذي يتطور هو مظاهر الحياة العملية التي يعيشها الإنسان، وهي تختلف من وقت لآخر، وهذا التطور محكوم دائما بقيم ثابتة، ومحور ثابت أيضا.

تلك هي طبيعة التطور الذي حدده المنظور الإسلامي، وهي الطبيعة المختلفة تماما عن الأفكار الوضعية التي صاغها الفكر الأوروبي الحديث. ولعله من الواضح أن فكرة التطور شملت مجمل الحياة الطبيعية للإنسان، وكذا الجوانب النفسية والاقتصادية. وتجاوزت هذه الفكرة لتطال حتى الوجود والكون. ومن الأفكار حتى من تطرف كثيرا، ليتجرأ على الحقيقة الإلهية ذاتها.

2-القيم الشعورية:

يتفق الكثير من النقاد والباحثين أن التجربة الأدبية يعبر عنها من خلال قيم ثلاث معروفة هي: القيم الفكرية، والقيم الشعورية، والقيم الفنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نظرت نظرية الأدب الحديثة على وجه الخصوص، بشكل متفاوت لهذه القيم،فمرة يتم تركيز الاهتمام على جانب الحقيقة والموضوع، كما كان الحال في العصر اليوناني، ومرة ينصب الاهتمام أكثر على القيم الأخلاقية، والعناية أكثر بالمتلقي، وبدأت هذه الرؤية تتطور أكثر في عصر"هوراس"، وعصر النهضة الأوروبية.

ويمكن أن يكون هناك التقاء بين تاريخ الأدب الإسلامي، وهذا الاهتمام المنصب على الجوانب الأخلاقية. ومرة ثالثة تهتم نظرية الأدب بالأديب أو المبدع فقط، وقد بدا هذا منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر، وهذا العصر يسمى بعصر الرومنسية في الأدب. ثم كان الاهتمام أكثر بالنص الأدبي، وهذا التوجه صار معروفا في النقد الأدبي العربي، منذ العصر العباسي[49].

يذهب في البداية بعض الباحثين المختصين في نظرية الأدب الإسلامي، أن هذا الأخير يرفض الاهتمام، بما ركزت عليه النظريات الأدبية الغربية، كتلك التي اهتمت بالحقيقة، أو المتلقي، أو الأديب، أو الأدب.بل الأدب الإسلامي بطبيعته، وبحكم أنه ينطلق من العقيدة الإسلامية، «ليس أدب نظريات فلسفية، ولا مواعظ أخلاقية، ولا أدب عواطف هائمة متغنية بعذابها، ولا أدب فن تجريدي خالص، ولكنه أدب فيه من العناية بالحقائق والأخلاق، والأحاسيس، والجمال الفني الشئ الكثير، دون أن يطغى جانب واحد على الجوانب الأخرى. فهو–بتعبير آخر–، أدب يعكس الحقائق الكونية ، والإنسانية، والفنية في آن واحد؛ كل ذلك في إطار مذهب فكري وفني موحد، بعيد عن التلفيقية والاحتذاء»[50].

والمعروف أن العقيدة الإسلامية جاءت لتفعيل طاقات الإنسان، وجعلها تتسم بالإيجابية، والإقرار بالعبودية لله وحده، وهي العبودية التي تراعي الفطرة الإنسانية السليمة، وتجعلها تطمح إلى الحرية، والسمو، والكمال. من هذا الجانب يفهم أن العقيدة الإسلامية لا يمكن أن تهمل الجانب العاطفي في شخصية الإنسان، بل عنيت ولا تزال تعنى به عناية كبيرة جدا، بما يتناسب مع استعداداته وإمكاناته الفطرية، وهي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بذلك تختلف اختلافا كبيرا عن بعض المذاهب، والنظريات الأدبية والفنية، التي آثرت الغلو في الجانب العاطفي، أو التفريط فيه نهائيا.

في هذه الحال يمكن قراءة الآية الكريمة، ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل، فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون﴾[51].

إن الفهم المتعلق بهذه الآية الكريمة، أن الإنسان لا يمكن أن يتلقى هذا الفيض الإلهي دون أن يتفاعل معه بكامل كيانه، ويتجاوب معه في الآن ذاته. لأن هذا الفيض الإلهي لا يخاطب جانبا محددا من الإنسان، إنما يخاطب فيه كيانه كاملا، من عقل وإحساس ووجدان.

لذلك يبرز هذا الفارق الكبير بين أساليب الفلسفة الوضعية، في تقديم مفاهيمها للناس، ودعوتهم إلى اعتناقها وتبنيها، وبين أسلوب العقيدة الإسلامية السمحاء.

والخلاف ظاهر بين الأسلوبين، فالفلسفة الوضعية تخاطب العقل البشري مباشرة، بحيث لا تفهمها إلا النخبة من الناس، وليس شرطا أن تؤمن بها، في حين خطاب العقيدة الإسلامية خطاب يدعو إلى الإيمان به، والالتزام المطلق بمضمونه، لأنه يختص بالاستجابة الكيانية للإنسان. لذلك اختص أسلوب الدين الإسلامي، بميزة هامة، هي توصيل الدعوة إلى القلوب والعقول معا. يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم، وأموالهم،بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن. ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم﴾[52].

هذا الخطاب الذي يخاطب به الله تعالى عباده، لا يمكن للكائن البشري، أن يتعامل معه من منطلق العقل فحسب، إنما يتعامل معه من خلال كيانه كله، لأنه مطالب بالاستجابة للوعد الإلهي الحق، فيبذل نفسه بكل طواعية، واختيار لله تعالى، كي ينال الخلود، والدار الباقية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلك هي طريقة القرآن الكريم في مخاطبة البشر؛ هناك أوامر، وهناك نواهي، وفق ما يتماشى تماما مع الفطرة الإنسانية السليمة، بحيث ينقاد الإنسان لأمر الله تعالى عن رضا وطواعية تامين. فمثلا في الآية القرآنية الكريمة قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه؟!﴾ [53]. ما يلاحظ أنه ليس هناك بتر في الأسلوب القرآني، بحيث أن الله تعالى، لم يقل فقط: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾، إنما أردف ذلك ببقية الآية الكريمة، وهو استفهام إنكاري، ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه؟!﴾، وهذا ما سيثير كراهية النفس، واشمئزازها من إنسان تتدنى به نفسه، إلى أن يأكل(جيفا)، ولا يمكن التصور بعد هذا ما هو أدعى من نفور الضمائر الحية من إثم الغيبة، التي يحرمها الإسلام بنصوص شرعية صريحة.

ويبدو الفارق واضحا بين اهتمام الإسلام بالعنصر العاطفي، واهتمام المذاهب الأخرى بهذا العنصر، وهي المذاهب التي تستغل العاطفة وحدها لتفعيل الضمير البشري. والعديد منها لا يهدي هذا الضمير إلى جادة الصواب، ولكن من أجل تسخيره في تحقيق مطامع آنية، وهذا ما عرفته الكثير من الآثار الأدبية في القصة والمسرح، وهي الآثار التي توزعتها مذاهب واتجاهات أدبية عديدة حاولت مخاطبة جانب واحد من شخصية الإنسان، والتركيز عليه.

فعلى سبيل المثال يركز المذهب الواقعي الاشتراكي على تصوير الصراع الطبقي، بين الفئات الاجتماعية، وهذا ما يمثل من الجانب الشعوري بعاطفة الحقد والكراهية، وهي القيمة الشعورية التي حاول هذا المذهب مرارا تكريسها في الوسط الاجتماعي من خلال علاقات الصراع القائمة بين الطبقات الاجتماعية. فقارئ الرواية مثلا، أو المسرحية التي تكرس مثل هذه القيم الشعورية أو العاطفية، لا يحس إلا بهذا الحقد الذي يشعل القلب حقدا وكراهية على فئات اجتماعية أخرى، بغرض الوصول إلى إحداث ما يسمى بالتغيير الاجتماعي الشامل، ضمن شروط تاريخية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معينة، تصنعها التطورات الاقتصادية، وأنماط الإنتاج، وعلاقات التوزيع، وهذا من خلال تبني ما يسمى بالفعل الثوري.

ونجد في مذهب الواقعية الطبيعية مثلا، إقصاء كل العواطف البشرية، والتركيز بشكل مباشر على الغرائز الجنسية، والاستجابات البيولوجية للإنسان؛ إما من خلال دوافع يصنعها الواقع الاجتماعي، نتيجة الكبت وما شابه ذلك، أو من خلال عقد نفسية تدفع إلى حالات مرضية لا تعالج، إلا بالتركيز على هذا الجانب البيولوجي للإنسان.

لكن الإشكالية هي أن ينزل الإنسان، ويتدنى إلى مستوى حيواني، لا يهمه شئ غير إشباع غرائزه الجنسية، الشئ الذي تهمل معه كل القيم الأخلاقية، والضوابط، والأعراف الاجتماعية، التي تحكم سلوك الفرد.

والإسلام لا يقدم بين يدي البشر، أفكارا عقلية على درجة من السلبية، إنما يوصل هذه الأفكار لتقتحم شعوره، ولتتحرك، وتندفع بحرارة، وفاعلية عن وعي واقتدار. وموقف النظرية الأدبية في الإسلام لا يقوم على ردود الأفعال، والتوفيق بين المذاهب، إنما هو موقف خاضع، لواقعية التصور الإسلامي في رؤيته للإنسان، ونشاطاته المختلفة. فكاتب الرواية على سبيل المثال يفترض أن يحرك شخصياته، وفق معايير علمية واجتماعية، تتناسب تماما مع سنن الله في الحياة والإنسان، فلا يمكن أن تكون هذه الشخصيات نهبا للانفعالات النفسية، والغرائز الجنسية، فيضيع بذلك الكيان الإنساني بكل عناصره الفكرية والعاطفية.

3-القيم الجمالية:

يثبت التاريخ الأدبي، أن الأدب اليوناني القديم، قدم تصورا فنيا، وأدبيا يعطي للجمال درجة كبيرة جدا، ويصبغ عليه هالة من القداسة. كما صور له آلهة خاصة به لها سحر في النفوس البشرية، وسلطان عليها. ورغم أن الفلاسفة اليونانيين آنذاك حاولوا منح صفة الأخلاقية للأدب والفن، سواء بشكل موضوعي ومباشر كما هو عند "أفلاطون"، أو غير مباشر كما هو عند "آرسطو"، إلا أن الاتجاه نحو إضفاء ميزة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التقديس للجمال بقي سائدا في الفن والأدب، إلى غاية ظهور الاتجاهات الواقعية في العصر الحديث.

يذهب آفلاطون في كتابه "الجمهورية"، إلى اعتبار الفن والأدب من شؤون اللهو، وهذا يعكس إحساسه بطبيعة ظروف العصر الذي عاشه آنذاك، لذلك خشي الفساد على جمهوريته، بسبب الأدب الذي يتخذ اللذة والجمال هدفا له.

ولم تجد نفعا رؤية آفلاطون هذه، حيث وقع المجتمع الروماني بعد ذلك، أسير اللذة والجمال، فانصرف إلى اللهو الذي انتهى بالإمبراطورية إلى الزوال والسقوط. وحتى "الديانة المسيحية"لم تتمكن من كبح الملذات البشرية، لأنها خضعت لميولات الإنسان الأوروبي.

وبمجئ عصر النهضة، وجدت الأغلبية من الفلاسفة نفسها تسير ضمن الاتجاه اليوناني في منح الأهمية للجمال، وهذا ليس بغريب، بحكم أن النهضة الفكرية والأدبية تقوم دعائمها على العودة إلى الأصول الكلاسيكية في الأدبين اليوناني والروماني القديم. يبدو ذلك عند أكثرية أدباء عصر النهضة في أوروبا، كما يبدو عند الرسامين، والنحاتين، والموسيقيين. وبدا أيضا عند الفلاسفة والمنظرين المثاليين، أمثال"ديدرو"، و"هيجل"، و"كانط"، الذي فرق بين المهنة والفن، ورأى «أن الفن عمل يقصد من ورائه المتعة الجمالية الخالصة، بمعنى أنه لهو حي ليس له من غاية سوى اللذة الفنية ذاتها، في حين أن المهنة عمل مقيد، قد لا يكون مشوقا في حد ذاته»[54].

هذا التوجه المحدد للنظرة إلى الجمال، أثر تأثيرا كبيرا في الأدب والنقد في أوروبا إلى عصر ما بعد النهضة، وهذا ما ظهر بوضوح جلي في أعمال "برادلي"، و"إدجار آلامبو"، و"بودلير"، و"بندتو كروتشيه"، و"توماس إيرنست هيوم"، و"توماس إيليوت"، و"عزرا باوند". وهؤلاء الأدباء يمثلون أكبر التوجهات التي تناقض الاتجاه الواقعي، كالرمزية، و البرناسية، والرمزية. وغيرها من المذاهب الأخرى.

«كما أن الأدب والنقد العربي في جانب من توجههما ينحوان هذا المنحى في النظر إلى الجمال، خاصة في العصر العباسي الذي بلغ فيه الترف أقصى مداه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسواء أقلنا، إن لآراء آرسطو في (فن الشعر) أثر في هذا التوجه الجمالي الخالص، أم لا، فإن النظر إلى الآثار الأدبية والنقدية في ذلك العصر تعكس عناية خاصة بالجمال، وإن لم تبلغ درجة العبادة التي هام بها الفكر اليوناني، والأوروبي في عصر النهضة وما بعدها»[55].

يبدو هذا في كتاب "نقد الشعر"،" لقدامه بن جعفر"، الذي يقول: «..وعلى الشاعر، إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة أو الضعة، الرفث أو النزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة، أن يتوخى من التجويد في ذلك الغاية المطلوبة»[56].

الشئ المهم حسب رأي قدامه بن جعفر، هو تنميق الصنعة، والاهتمام بالجمال أكثر، وكذلك العناية أكثر بالشكل والمضمون، سواء أكان حسنا أم قبيحا، وهذا ما يوافق إلى حد كبير الاتجاه الأوروبي في النظر إلى الجمال.

ومن الممكن جدا أن يكون هذا التأثير الأوروبي، قد امتد إلى الحياة العربية المعاصرة، وإن لم تتشكل تيارات فنية كبيرة، وهذا نتيجة الاختلاف المتعلق بالظروف والأذواق ذات الجذور الحضارية العميقة للمجتمع العربي الإسلامي، والتي تختلف في العديد من مناحيها عن الأذواق الأوروبية.

وفي حال الانتقال إلى المذاهب الواقعية في الفكر والأدب والفن في أوروبا، نجد هذه المذاهب في حقبة من الحقب التاريخية، تعتبر العناية الكبيرة بالجمال الخالص، وجها من أوجه ضعف الأدب وانحطاطه، بحيث يعكس هذا الانحطاط إفلاس المجتمع الرأسمالي، والاستلاب الذي تمارسه الطبقات الراقية في المجتمع الأوروبي. لذلك توجهت هذه المذاهب إلى العناية أكثر بالمضمون الاجتماعي، مع الاختلافات الواضحة في درجات العناية، وكذا الأسس الفلسفية التي تصوغ المضامين الاجتماعية. وهذا ما بدا بوضوح في الفلسفة الاجتماعية ذات التوجه الاشتراكي"لسان سيمون"، والفلسفة الوضعية التجريبية التي أنتجت الواقعية الطبيعية"لإيميل زولا"، أو الفلسفة ذات التوجه المادي التاريخي، التي عكستها الواقعية الاشتراكية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللأديب الروسي"ليون تولستوي"نظرية إزاء الفن، فهو لا يعبأ بالاتجاه الجمالي، ويرفض مبدأ اللذة والمتعة، ويقيم علاقة بين الفن والدين.

ويرى بأن الفن يمكن أن يقيم علاقات تواصل مع الناس، وهذا بفضل وسائله الخاصة والقائمة بين المنتج والمتلقي، هذه الوسائل ليست محصورة فقط في الألوان، والخطوط، والكلمات، إنما تتجاوزها إلى وسائل فنية أخرى، كتوقع الأحداث في القصة، والصراع الذي يميز العمل المسرحي، والوترية في الشعر. وغيرها من المميزات الأخرى[57].

ولا يمكن الإنكار بوجود التوافق الحاصل بين الفن، والأدب الإسلامي ضمن المذهب الواقعي، ولكن للإسلام فهم خاص للجمال، وهو الفهم الذي يؤمل أن يصاغ وفقه تصور للأدب الإسلامي.

يقر الإسلام في البداية بأهمية الجمال في إحداث الانفعال في نفسية المتلقي، ولكن هذا الانفعال لا يتوقف عند حدود اللغة، والصورة، والعاطفة، أو حتى البناء والطرافة، بل يتوسل أيضا بوسائل فنية أخرى لإحداث التأثير، وهذا وفق تصوره ورؤيته المميزة. في الوقت نفسه لا تعد هذه الوسائل الجمالية تمثل وحدها المقاييس في إحداث الانفعال في نفسية المتلقي، بل هناك أيضا عناصر جمالية أخرى تتدخل لإثارة المتلقي، هي تلك المتعلقة بالفكر، وطبيعة المتلقي في حد ذاته.

وقد وردت لفظة "جميل"و"جمال" في العديد من آيي الذكر الحكيم، وهناك موضع منها تحدث عن الجمال الحسي، وبقية المواضع كلها، تم الحديث فيها عن الجمال المعنوي، والأخلاقي.

من هذا المنظور يرى المختصون في مجال البحث في نظرية الأدب الإسلامي، أن النقطة الأولى التي يمتاز بها الفن والأدب الإسلاميين، في موقفهما من الجمال أنهما لا يجعلان الفن متوقفا على الجمال الحسي فقط، بل يتجاوزان ذلك إلى الجمال المعنوي. فمثلا "الصبر" من أهم الصفات التي تزيد النفس جمالا، وكمالا، حيث وصفه القرآن الكريم "بالجميل"، ورد هذا على لسان سيدنا "يعقوب" –عليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلام-،حين اتخذ الصبر سبيلا لمواجهة الابتلاء الذي حل به بعد فقد ولده "يوسف"-عليه السلام-، ﴿قال:بل سولت لكم أنفسكم أمرا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون﴾[58]. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم، وردت أحاديث خاصة "بالصفح الجميل"، "السراح الجميل"، والصفح لا يكون جميلا إلا إذا خلصت النية لله تعالى وحده، والسراح لا يكون أيضا جميلا حتى يخلو من الأثرة، وتبلغ فيه مجاهدة النفس مستوى الانتصار، والتفوق على الأثرة والميولات الذاتية.

وللإسلام تصور خاص في مفهوم الحرية والانطلاق في تصوير الخير والشر على حد سواء. فالمسرحيات، والروايات، والقصص،والرسومات، والنحوت الأوروبية، تصور الشر أو بعضه على الأقل، بطريقة لا تنتهي إلا بمزيد من الشر، والبحث عن فرص التغيير، حتى لو تعلق الأمر بتغيير الفطرة الإنسانية ذاتها. يبدو هذا واضحا في "أدب الجنس" مثلا، الذي يهدف إلى تصوير الميولات الاستعرائية، والغرائز البشرية، مستندا بذلك إلى رؤية نفسية تعتقد أن التصرف البشري، هو في حقيقته انعكاس لمظاهر الغريزة الجنسية. والأمر نفسه في التصور المادي الذي يهتم بتصوير غرائز الحقد الطبقي، كانعكاس لعوامل السلوك البشري، نتيجة التطورات الاقتصادية.

يمكن للأدب الإسلامي أن يصور مظاهر القبح أحيانا، ولكن بطريقة أخلاقية هادفة، ترمي إلى رفض هذا المظهر الشائن، وأخذ العبرة منه، وعدم الاعتبار به كسلوك اجتماعي طبيعي، كما هو ملاحظ في الآداب الأوروبية التي اهتمت في كثير من أعمالها بصور المجون.

والإسلام في رفضه هذا التوجه الغربي، يرفض أيضا التوجه نفسه في النقد العربي في بعض اتجاهاته، التي تؤكد أكثر على نضج التجربة الأدبية، وصدقها مهما توجهت.

يحدد التصور الإسلامي إضافة إلى موقفه من الجمال، رؤية في رفض الفصل الصارم بين المنفعة، واللذة، والجمال. وفي القرآن الكريم هناك ربط بين هذه العناصر الثلاثة، يقول الله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم، فيها دفء ومنافع، ومنها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون، وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم﴾[59]. فالجمال واقع بين مجموعة منافع لا يمكن بعدها اعتبار كل جميل غير نافع، وكل نافع غير جميل.

تبدو الدعوة إلى الجمال قائمة في نصوص القرآن الكريم للتمتع به غاية وهدفا، وهي الغاية نفسها التي وجد الإنسان من أجلها، وهي عبادة الله، والإقرار بألوهيته، والعبودية له وحده، والامتثال لأوامره، والانتهاء بنواهيه، هذه جميعا تمثل المبدأ الأخلاقي لإقرار العبودية. كما ينبغي النظر للأشياء وفق حجمها الطبيعي، وفي ضوء التصور الإسلامي المميز، الذي ينبغي أن يجد له مكانا في الأدب والفن.

تثير باستمرار قضية ارتباط الأدب بإيديولوجية معينة، أو الالتزام بموقف معين، نوعا من الحساسية، بحكم أن بعض الإيديولوجيات لا يتماشى مع القناعات، والمعتقدات، أو بعض المواقف لا يتناسب مع طبيعة التطلعات المرجوة، وهذا أمر واقع في النقد الأدبي قديمه وحديثه. ويمكن أن تكون القضية على درجة من الحساسية، في حال ارتباط الأدب بعقيدة دينية، لاسيما العقيدة الإسلامية.

لا بد من الإقرار أن موضوع الالتزام في الأدب، موضوع ليس جديدا، إنما هو موجود منذ وعي الإنسان بوجوده الطبيعي. ومن الطبيعي جدا أن تتحدد المواقف، ويأخذ الالتزام خصوصية إيجابية من باب الوعي بقيمة وأهمية العقيدة الدينية، في بلورة المواقف، وتحديد طبيعة التوجهات.

ويثبت التاريخ البشري عبر تطوراته المستمرة، أن مواقف الإنسان لا تخلو من التزام عقيدي أو إيديولوجي، وحتى الدين هو حاضر في مختلف مراحل حياة الإنسان، مهما حاول هذا الأخير التنصل من قيمه، والتوجه نحو الإلحاد، لأن نداء الفطرة الإنسانية، ينكر خلو شعور الإنسان من عقيدة ما.

ولأن العلاقة قائمة بين الأدب والدين،يستغرب الكثير وجود مصطلح نقدي، كمصطلح الأدب الإسلامي، وبعض الباحثين جعل المصطلح مقتصرا على حدود تاريخية معينة فقط، وهي الفترة التي عاش فيها الرسول"ص"، والخلفاء الراشدون"ض"

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بعده. ولكن المسألة يجب أن تأخذ أبعاد الالتزام الفعلي بحيثيات وأصول العقيدة الإسلامية السمحاء، في الإبداع الفني والأدبي من باب ترسيخ قيم فكرية، وشعورية، وجمالية، تنسجم تماما مع طبيعة العقيدة الإسلامية. لأن مهمة الأدب ساعتها، القيام بترسيخ وعي حضاري، يسمو بالذوق البشري إلى آفاق التسامح، والحب، والأخوة، والجمال.

الهوامش:

1–د/شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، والترجمة، الطبعة الأولى1412ه/1992م، دمشق/سوريا، ص:21

2–المرجع نفسه، ص:22

3–ينظر المرجع نفسه، ص:22

4–هي دراسات متخصصة في مصطلح الأدب الإسلامي، كما تخصصت في دراسة الأدب الإسلامي، من حيث الخصائص الجمالية، والمضامين الفكرية، صدرت جميعها عن دار المنارة بجدة، المملكة العربية السعودية.

5–د/شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:24

6–سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاجا، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت /لبنان1394ه/1974م، ص:28

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب، ضم المقالات التي نشرها سيد قطب عام 1952م، عن منهج الأدب الإسلامي.

7–محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، الطبعة السادسة، 1403ه/1983م، ص:06

8–د/شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:24

9–د/أحمد بسام ساعي: الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى1405ه/1985م.

10–يذهب هذا المذهب الدكتور شلتاغ عبود في كتابه: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:25

11–لتفاصيل أكثر حول هذه الرؤية، ينظر كتاب الدكتور أحمد بسام ساعي، الإسلامية في الأدب والنقد (مرجع مذكور). وكذلك كتاب محمد قطب، جاهلية القرن العشرين.

12–يراجع في ذلك كتاب الدكتور: شكري عزيز الماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة–الجزائر، الطبعة الأولى1404ه/1984م، ص:11

13–شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:27/26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14-ينظر في ذلك كتاب الدكتور: حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، د/ط،1983م، ص:458

15-ينظر في ذلك كتاب الدكتور: نجيب الكيلاني، حول الدين والدولة، دار النفائس، بيروت/لبنان، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1982م، ص:43

16-شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:33/32

17-المرجع نفسه، ص:34/33

18-د/عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب،دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م، ص:111

19-ظهرت مناهج نقدية أثبتت إمكانية دراسة النص الأدبي بعيدا عن كل سياقاته الخارجية، وعن كل الخلفيات العقيدية والتاريخية، كالمنهج البنيوي مثلا. إلا أن ما يلاحظ على مثل هذه المناهج، رغم موضوعيتها العلمية، إلا أنها قتلت الذوق، وعادت فكرة التطور التاريخي للأشياء.

20-قرآن كريم، سورة البقرة، الآية:149، برواية حفص عن عاصم

21-شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:35

22-يراجع في ذلك الدكتور: حلمي مرزوق، في كتابه تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، د/ط،ص:458

23-يراجع في ذلك كتاب الأستاذ: مالك بن نبي،شروط النهضة، دار الفكر، بيروت/لبنان، الطبعة الثالثة، 1969، ص:113

24-شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:37

25-موسوعة إسلامية المعرفة، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى1406هـ/1986م، ص:166

26-شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:42

27-ينظر في ذلك الدكتور عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ص:26/25

28-د/شكري عزيز الماضي: محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 1984،ص:99

29-يراجع في ذلك محمد أحمد حمدون: نحو نظرية للأدب الإسلامي، دار المنهل، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1986، ص:29

30-المرجع نفسه، ص:30

31-د/بنت الشاطئ: قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى1966، ص:183

32-شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:45/44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

33–قرآن كريم: سورة الأعراف، الآية96، برواية ورش عن نافع

34–د/نجيب الكيلاني:الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية، 1981، ص:16

35–توفيق الحكيم: فن الأدب، مكتبة الآداب، القاهرة، د/ط،د/ت، ص:75

36–شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:47

37–د/عز الدين إسماعيل:الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت/لبنان، الطبعة الثالثة، 1981، ص:377

38–د/شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:48

39–المرجع نفسه، ص: 49/48

40–ينظر في ذلك شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:49

41–ديني هويمان: علم الجمال،ترجمة ظافر الحسن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، –الجزائر، د/ط،د/ت، ص:185

42–شلتاغ عبود:إسلامية الأدب، مجلة العالم، العدد242، تشرين الأول، 1988، ص:32

ويراجع في ذلك أيضا، كتاب في النقد الإسلامي المعاصر للدكتور عماد الدين خليل، ص:200

43–شلتاغ عبود: الملامح العامة، لنظرية الأدب الإسلامي، ص:82

44–قرآن كريم: سورة الأنعام، الآية153، برواية ورش عن الإمام نافع

45–قرآن كريم: سورة البينة، الآية07، برواية ورش عن الإمام نافع

46–قرآن كريم: سورة الأنعام، الآية162، برواية ورش عن الإمام نافع

47–قرآن كريم: سورة آل عمران، الآية85، برواية ورش عن الإمام نافع

48–قرآن كريم: سورة الكهف، الآية45، برواية ورش عن الإمام نافع

49–يراجع في ذلك الدكتور محمد أحمد حمدون، نحو نظرية للأدب الإسلامي، دار المنهل، جدة، المملكة العربية السعودية، 1407هـ/1986م، ص:25

50–شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:94/93

51–قرآن كريم: سورة الحديد، الآية16، برواية ورش عن الإمام نافع

52–قرآن كريم: سورة التوبة، الآية111، برواية ورش عن الإمام نافع

53–قرآن كريم: سورة الحجرات، الآية22، برواية ورش عن الإمام نافع

54–د/زكريا إبراهيم: مشكلة الفن، مكتبة مصر، 1976، ص:14

55–د/شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ص:106

56–قدامه بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، 1399هـ/1979م، ص:65

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

57–د/إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت/لبنان، د/ط،د/ت، ص:176

58–قرآن كريم:سورة يوسف، الآية18، برواية ورش عن الإمام نافع

59–قرآن كريم: سورة النحل، الآية75، برواية ورش عن الإمام نافع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com